البيئة الخضراء في شرق النخيل لبهاء طاهر
دراسة في النقد البيئي

إعداد

د. أحمد الديداموني محمد إسماعيل
مدرس الأدب الحديث والمقارن بقسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة قناة السويس

مجلة الدراسات التربوية والانسانية. كلية التربية. جامعة دمنهور
المجلد الخامس عشر - العدد الرابع – الجزء الثالث - لسنة 2023.

البيئة الخضراء في شرق النخيل لبهاء طاهر
دراسة في النقد البيئي

د. أحمد الديداموني إسماعيل[1]

الملخص

ارتبط استغلال الإنسان للطبيعة بصفة عامة بالرواية العربية منذ عقود كثيرة، كانت الغلبة فيها للهيمنة البشرية، هذه الغلبة استمدها من الفلسفات التي تدعو إلى الفوقية البشرية، ولكن في الآونة الأخيرة تغيرت هذه النظرة،؛ بسبب تقلص البيئة الخضراء من حوله نتيجة الاستغلال السيء مما أضطر الإنسان أن يعيد النظر في استخداماته وفي فوقيته التي يزعمها، بل وتغيرت ملامح الهيمنة ذاتها، لتفرض الطبيعة سيطرتها على البشر، متخذة من البيئة الخضراء ساحة لاستعراض أوجه تلك الهيمنة، فكانت هذه الدراسة عن إحدى الكتابات التي تبين مدى استغلال الإنسان للطبيعة وكيف ردت عليه الطبيعة الصاع صاعين، فكانت قصة شرق النخيل التي اتخذها بهاء طاهر مدخلا لإظهار عناصر الاستغلال السيء من قبل الإنسان نحو الطبيعة، فتهدف هذه الدراسة إلى التعريف بجماليات البيئة الخضراء ودلالتها في قصة شرق النخيل، كما تهدف إلى تحديد جماليتها وسماتها وعلاقاتها بالشخصيات.

الكلمات المفتاحية: النقد البيئي، البيئة الخضراء، السياسة البيئية، البيئة العميقة.

[1] مدرس الأدب الحديث والمقارن بقسم اللغة العربية وآدابها– كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة قناة السويس.

Abstract:

Man's exploitation of nature in general has been associated with the Arabic novel for many decades, in which human dominance prevailed. This predominance was derived from philosophies that call for human supremacy, but recently this view has changed; Because of the decline of the green environment around it as a result of bad exploitation, which forced man to reconsider its uses and the superiority that he claims, and even the features of hegemony itself changed, so that nature imposed its control over humans, taking from the green environment an arena to review the aspects of that domination, and this study was about one of the writings Which shows the extent of man's exploitation of nature and how nature responded to him with two measures, so the story of East Al-Nakhil, which was taken by Baha Taher, was an entrance to show the elements of bad exploitation by man towards nature.

This study aims to define the aesthetics of the green environment and its significance in the story of East Al-Nakhil, and it also aims to determine its aesthetics, characteristics, and relationships with characters.

Keywords: ecocriticism, green environment, environmental policy, deep environment.

المقدمة

علاقة الإنسان بالطبيعة علاقة حميمية جدا؛ لأنها تمثل الامتداد الطبيعي لحياة الإنسان، ويكمن جوهرها في كيفية تعامل الإنسان معها وحسن استغلاله إياها بما يضمن لها البقاء والاستدامة، فتتنوع وتتغير البيئة الخضراء حسب إبداع كل كاتب، والتجربة التي خاضها، فيدعمها بالمضامين الفكرية، التي تعبر عن رؤاه الخاصة بضميره ومخيلته وعاطفته، فالأديب "يلجأ إلى إعادة بناء هذا العالم وفق رؤى مختلفة وسياقات فنية جديدة"[i].

فكل نقد أدبي ينبغي أن يهتم بالضمير البيئي، "ويهتم بالقيم الإيجابية تجاه البيئة في نقده، فيدرس جماليات التعبير التي تتجلى في الطبيعة، ويتنبأ في تحليلاته الرؤية البيئية لعناصر الطبيعة"[ii].

ومن الملاحظ أن وعي الإنسان بالبيئة لم يأت بسبب الأزمات البيئية منذ بدايات النصف الثاني من القرن العشرين، بل كان له بذور في المسار الفكري والفلسفي منذ نهاية القرن التاسع عشر[iii].، وتطورت الإيكولوجية بشكل كبير حينما أصبحت رابطة الأدب والبيئة (ASLE) في عام 1992م منظمة عالمية لها فروع في جميع أنحاء أوروبا وشرق آسيا وجنوبها، ونيوزيلندا وأستراليا.

ومع مرور الوقت تطورت دراسات الأدب والبيئة التي تدعو إلى مساواة الطبيعة بالإنسان، والبحث عن أفضل الطرق للحفاظ عليها "وهذا بدوره يعتمد على حفظ العالم الطبيعي، والاستخدام الصحيح للموارد"[iv]، وفي قصة شرق النخيل يظهر مدى وعي الكاتب بالأزمات البيئية المتعاقبة في عصره.

فقد استهوى كثير من الكتاب قضية الطبيعة، وعلاقة الإنسان بممارساته نحوها، وتحرر الطبيعة من قالب الفوقية إلى قالب المساواة، ومن هنا وقع الاختيار على قصة شرق النخيل للكشف عن البيئة الخضراء ودلالاتها، والحالات الانفعالية لها التي تخضع لأهداف الكاتب، وتعكس ميوله وقدراته ومهارته الإبداعية في إدراكه للبيئة الخضراء.

ومن هنا تفترض هذه الدراسة عددا من الأسئلة:

-كيف تجلت البيئة الخضراء في شرق النخيل؟

-ما علاقة الطبقات الاجتماعية بالبيئة الخضراء؟

-ما عناصر البيئة الخضراء في شرق النخيل؟

-هل تختلف البيئة الخضراء في الريف عن المدينة؟

-ما جماليات البيئة الخضراء في شرق النخيل، وأبعادها وسماتها ودلالاتها؟

-ما جماليات المكان في شرق النخيل وأبعاده وسماته ودلالاته وعلاقته بالبيئة الخضراء؟

منهجية الدراسة: من أجل الإجابة على الأسئلة السابقة سوف تعتمد هذه الدراسة على منهج النقد البيئي في دراسة البيئة الخضراء في شرق النخيل، فقد بدأ النقد البيئي في التسعينات بوصفه منهجا، وقد أسس النقاد الأمريكيون له جمعية باسم "جمعية دراسة الأدب والبيئة" ومجلة "دراسات بيئية في الأدب والبيئة" وقد اعتمد هذا المنهج على المزج بين البيئة الخضراء المادية والخيال، وهذا ما يهدف إليه مصطلح الخيال البيئي الذي صاغة لورانس بويل "إمكانية الجمع بين البيئة المادية مع موقف يشير إلى وجود الجغرافيا الثقافية للمنطقة، هذا هو السبب في وجود الخيال الحضري أو خيال الجزيرة؛ حيث يؤثر المكان على المنهج الروحاني"[٧].

أهمية هذه الدراسة وأهدافها: تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن ملامح البيئة الخضراء، فضلا عن إبراز جماليات التشكيل البيئي، وتسليط الضوء على أبعاد هذه الجماليات ودلالاتها والدور الوظيفي الذي تؤديه، ولتحقيق ذلك جاءت الدراسة من مقدمة وتمهيد ومبحثين، وخاتمة على النحو التالي:

تمهيد: مدخل في النقد البيئي

المبحث الأول: ملامح البيئة الخضراء في شرق النخيل، وهذا المبحث يندرج تحته العناصر التالية:

-الطبقات الاجتماعية الخضراء

-الهروب إلى الريف والامتزاج به

-عناصر البيئة الخضراء

المبحث الثاني: جماليات التشكيل البيئي

وهذا المبحث يندرج تحته العناصر التالية:

-تشكيل اللغة البيئية في شرق النخيل

-التناص

-الشخصية البيئة وغير البيئية

-جماليات المكان

خاتمة: بأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة

تمهيد

إن البيئية الحديثة تبدأ بـ "حكاية من أجل الغد" ، 'A Fable for Tomorrow' في كتاب راشيل كارسون "الربيع الصامت" (1962)، فتستهل كارسون حكايتها الخيالية "كانت هناك مدينة في قلب أمريكا بدت كل الحياة وكأنها تعيش في وئام مع محيطها" واستشهدت بالتقاليد القديمة للرعوية ، وتستمر في رسم صورة المزارع المزدهرة والحقول الخضراء والثعالب التي تعوي في التلال ، والغزلان الصامتة ، والأزهار البرية ، و عدد لا يحصى من الطيور، وسمك السلمون في تيارات صافية وباردة ، فكل من يمر بالمدينة تنتشله حالة من السرور والابتهاج؛ وذلك بسبب الجمال الطبيعي والانسجام بين الإنسانية والطبيعة الذي كان موجودًا" [vi].

تهدف كارسون إلى تقديم صورة البيئة الخضراء التي لم يتدخل فيها الإنسان، وعندما تدخل في البيئة لإشباع أهوائه، وإرضاء لغروره؛ لظنه أنه أعلى المخلوقات وأقدسها، بدأ كل شيء يتغير، تمزق كل عنصر من عناصر البيئة الريفية من قبل التدخل الإنساني الحضاري، فاجتاحت الأمراض قطعان الدجاج، ومرضت الماشية والأغنام وماتت، وبات ظلال الموت يلوح في الأفق. بعد ذلك انطلق باقي الكتاب لإثبات أن مثل هذه الكارثة كانت تحدث بالفعل بطريقة مجزأة في جميع أنحاء أمريكا، "بحيث يمكن اعتبار الهلاك الذي حل بهذه المدينة الأسطورية في المستقبل على أنه مركب من المآسي الصغيرة، والتي تم التحقق منها علميًا في عام 1962"[vii].

هذا لا يعني أن كتاب الربيع الصامت أول من أسس البيئية الحديثة، ففي القرآن الكريم الكثير من ذلك على سبيل المثال لا الحصر قال تعالي { كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ} (البقرة :آية60)، وكذلك في (سورة البقرة : آية 211)، و(الأعراف :56) و (النمل : 88) النحل:(10–11– 12–67) .

كما أن الكتاب المقدس لا يخلو من التأسيس للبيئية الحديثة فهو يحفل بتخيل مكان البشر في الطبيعة مثلما في سفر التكوين والرؤيا.

النقد البيئي إذن "يفترض وجود واقع فوق النصوص يؤثر في الكائنات البشرية وفي أدواتهم ويتأثر بهم، قادر على تجاوزها"[viii]، فتطوير رؤى الحركات النقدية السابقة وعلماء البيئة، وعلماء البيئة الاجتماعية، ودعاة العدالة البيئية، يبحثون عن توليفة من الاهتمامات البيئية والاجتماعية، وذلك من خلال " وضع إحدى قدميه في الأدب، والأخرى على الأرض"[ix].

النقد البيئي إذن هو الذي يهدف إلى اكتشاف طرائق الكتاب في تصوير علاقة الإنسان بالبيئة، وعلاقة البيئة بالإنسان، كما يشير إلى "مجموعة عناصر متفاعلة ومكملة لبعضها على أساس التوازن لا التساوي"[x].

وهناك ما يسمى بالسياسة البيئة التي تهدف إلى تطبيق أساليب تحليل الخطاب ومزجها بعناصر البيئة الخضراء مثل الرعوية ونهاية العالم، فما السياسة البيئية إذن؟ السياسة البيئية هي "دراسة العلاقة بين الأدب والبيئة المادية"[xi] مثلما يفحص النقد النسوي اللغة والأدب من منظور الوعي الجنساني، كما أن النقد الماركسي يجلب الوعي بأنماط الإنتاج والطبقة الاقتصادية لقراءته للنصوص، "فإن النقد البيئي يتخذ نهجًا محوره الأرض في الدراسات الأدبية"[xii].

تتخذ رابطة دراسة الأدب والبيئة (ASLE) النقدي البيئي محورا لاهتمامها، وهي جمعية مهنية بدأت في أمريكا ثم انتشرت في المملكة المتحدة واليابان، تعقد مؤتمرات دورية، وتنشر مجلة لتحليل الأنشطة البيئية المختلفة، وفي بداية نشاط هذه المجلة كان اهتمامها منصبا على الشعر الرومانسي ، ولكن في السنوات القليلة الماضية ، تحولت ASLE نحو نهج ثقافي بيئي أكثر عمومية، من خلال دراسات الكتابة العلمية الشعبية ، والأفلام ، والتلفزيون ، والفن، العمارة والتحف الثقافية الأخرى مثل المتنزهات وحدائق الحيوان ومراكز التسوق؛ نظرًا لأن علماء البيئة يسعون إلى تقديم خطاب تحويلي حقيقي، مما يمكّننا من تحليل وانتقاد العالم الذي نعيش فيه، يتم الاهتمام بشكل متزايد لمجموعة واسعة من العمليات والمنتجات الثقافية التي يتم من خلالها المفاوضات المعقدة حول الطبيعة والثقافة.

لذلك فإن أوسع تعريف لمصطلح السياسة البيئية هو دراسة العلاقة بين البشري وغير البشري عبر التاريخ الثقافي الإنساني "وهكذا تأسّس الخطاب البيئي عمومًا على إعادة الاعتبار للطبيعة عبر احترام توازناتها الخاصّة ودورها في تواصل الوجود البشري، فإذا اختل التوازن بين الفيزيائي والكيميائي والبيولوجي والبشري"(xiii) اختل توازن الإنسان في الحياة.

البيئة العميقة DEEP ECOLOGY

الشاعر الحائز على جائزة" الإيكولوجيا العميقة هو جاري سنايدر مواليد 1930 ومعلمه الفلسفي هو آرني نيس، ويحدد نيس نقاط الإيكولوجيا العميقة كما يلي:"

1. إن سلامة الحياة غير البشرية على الأرض وازدهارها يعد قيمة في حد ذاته، بغض النظر عن جدوى العالم غير البشري للأغراض الإنسانية.
2. إن ثراء وتنوع أشكال الحياة يسهمان في تحقيق هذه القيم، وهي كذلك قيم في حد ذاتها.
3. الإنسان ليس لديه الحق في الحد من هذا الثراء والتنوع إلا لإشباع حاجاته الحيوية.
4. ازدهار حياة الإنسان وثقافاته يتناسب مع خفض ضروري لعدد السكان، وازدهار الحياة غير البشرية يستلزم ذلك الخفض.
5. التدخل البشري في العالم غير البشري يتسم بالإفراط، وثمة تفاقم متسارع في الوضع.
6. لابد من تغيير السياسات؛ فهي تؤثر على البنى الاقتصادية الأساسية، والتكنولوجية، والأيديولوجية، وقد تؤدي إلى اختلاف كبير في الوضع عما هو آني.
7. يتمثل التغيير الأيديولوجي أساسا في تقدير نوعية الحياة بدلا من التقيد بمستوى معيشي أعلى على نحو متزايد.
8. ويتحمل أولئك الذين يشتركون في النقاط السابقة التزاما مباشرا وغير مباشر بمحاولة تنفيذ التغييرات اللازمة." (xiv)

تهتم البيئة العميقة بدراسة الكيفية التي يمكن من خلالها خفض عدد السكان على المدى الطويل في جميع أنحاء العالم، فزيادة عدد السكان في البلدان النامية يؤدي إلى تفاقم المشاكل البيئية المرتبطة بالفقر مثل الضغط على الأراضي وإزالة الغابات المصحوب بنمو اقتصادي سريع في

البلدان المتقدمة؛ مما يؤدي إلى تفاقم المشاكل المرتبطة بالثروة مثل التخلص من النفايات المنزلية وغازات الاحتباس الحراري، والانبعاثات.

فالإيكولوجيا العميقة تهتم إذن بتشجيع المساواة بين البشر ليس فقط تجاه جميع أعضاء المحيط البيئي، ولكن أيضًا تجاه جميع الكيانات أو الأشكال التي يمكن تحديدها في المحيط البيئي، فتقدم الإيكولوجيا العميقة "أخلاقا تؤكد على قيمة الطبيعة في ذاتها، وبذاتها، ولذاتها"[xv] ؛ وبالتالي "فإن هذا الموقف يهدف إلى التوسع – على سبيل المثال– إلى هذه الكيانات (أو الأشكال) مثل الأنهار والمناظر الطبيعية وحتى الأنواع والأنظمة الاجتماعية" [(xvi)]؛ وبالتالي اتسع المفهوم وأصبح " يدل على رصيد الموارد المادية والاجتماعية مع دلالته على الموارد الطبيعية كالماء والهواء، والتربة والمعادن، ومصادر الطاقة، والنباتات والحيوانات"[xvii]

النسوية البيئية ECOFEMINISM

تقوم النسوية على محاربة التفرقة العنصرية من خلال دراسة العلاقة بين كيف يجب أن تكون المرأة على كيفية المرأة في الواقع أو "لقد ميز النقاد النسويون بين الجنس وهو فئة بيولوجية، والجنس وهو بناء اجتماعي ، وأظهروا كيف أن النظرة العالمية التي تركز على الذكور قد حاولت إضفاء الشرعية على البنى الجنسانية المتغيرة من خلال إعادتها إلى ما يُفترض الهوية الجنسية "الطبيعية" الثابتة، فلا تعد "الأنوثة" ، وفقًا للكثير من المنظرين النسويين نتيجة طبيعية أو ضرورية لكونك "أنثى" وراثيًا"(xviii)، ولكنها مجموعة من السلوكيات الموصوفة ثقافيًا، أو يفصل تمامًا الجنس الأنثوي عن الهوية الجنسية الأنثوية "المركبة" التي تعيش فقط في اللغة والثقافة في حين توفر هذه الاستراتيجية فرصًا للنساء للهروب من الصور النمطية القمعية، إلا أنها تمثل أيضًا إعطاء الأولوية بشكل ملحوظ لمطالبات الثقافة على مطالبات الطبيعة، إذن فموضع اهتمامه يكمن في "علاقة ما بين الأدب والبيئة الطبيعية، بحيث نلمح الوعي البيئي والخيال البيئي في النص"(xix).

فالنسوية البيئية تلوم ثنائية الرجل والمرأة؛ لأن الأول يميز البشر عن الطبيعة على أساس بعض الصفات مثل العقلانية ثم يفترض أن هذا التمييز يمنح التفوق للبشر، والثاني يميز الرجال عن النساء على أساس بعض الصفات المزعومة مثل حجم الدماغ الأكبر، ثم يفترض أن هذا التمييز

يمنح التفوق للرجال، فتتضمن النسوية الإيكولوجية الاعتراف بأن هاتين الحجتين تشتركان في منطق الهيمنة، وهو أن "النساء ارتبطن بالطبيعة والمادة والعاطفية والخاصة، بينما الرجال قد ارتبطت بالثقافة ، واللامادية ، والعقلانية، والمجردة [xx]، بل " تمثل إمكانيات المرأة للتحريض على ثورة بيئية تستتبع علاقات جديدة بين النساء والرجال وبين الناس والطبيعة باسم ضمان بقاء الإنسان"[xxi]، وأن هذا يجب أن يشير إلى سبب مشترك بين النسويات وعلماء البيئة، فالنسوية البيئة تقوم على مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة بغض النظر عن طبيعة تكوين جسد كل منهما.

الإيكولوجيا الاجتماعية والماركسية البيئية –SOCIAL ECOLOGY AND ECO-MARXISM

ترى الماركسية البيئية أن المشكلات البيئية ناتجة عن أنظمة الهيمنة أو استغلال البشر من قبل البشر الآخرين، وبالتركيز على هذه العلاقات بين الأنواع، فإن المركزية البشرية يجب أن تكون هدفًا لأي نقد متمركز حول الأرض؛ وبالتالي "فإن الماركسيين البيئيين وعلماء البيئة الاجتماعية يرون أن المشاكل البيئية لا يمكن فصلها عن المشاكل اجتماعية مثل السكن السيئ أو نقص المياه النظيفة، بل تعطي هذه المواقف تقاربًا واضحًا مع حركات العدالة البيئية التي تحتج على الارتباط المشترك للتدهور البيئي الحاد والتلوث والفقر"[xxii].

خلاصة القول إن النقد البيئي يهدف إلى تحقيق العدالة الاجتماعية والرفاهية لجميع البشر، مع توسيع دائرة الاهتمام لتشمل الأجيال القادمة، والأنواع الأخرى، والبيئة المادية، بشرط أن تكون الدراسات موضوعية ودقيقة؛ لتحقيق المثل العليا بشكل مناسب بدلا من أن تكون غاية في حد ذاتها.

المبحث الأول: ملامح البيئة الخضراء في شرق النخيل

وفي هذا المبحث سنتناول البيئة الخضراء في شرق النخيل من خلال النقاط التالية:

–الطبقات الاجتماعية الخضراء

–الهروب إلى الريف والامتزاج به

–عناصر البيئة الخضراء (الزروع – الأرض – الحيوان – الإنسان)

–البيئة الخضراء في القرية والمدينة (النباتات – البيت – الليل – الشارع)

أولا: الطبقات الاجتماعية الخضراء

كل مجتمع يتكون من أفراد متعددي المهارات مثل المزارعين والتجار والمهندسين وغيرهم، ولكل فئة من تلك الفئات الاجتماعية سمات في معيشتها، وأسلوب حياتها وعاداتها وتقاليدها، ومستواها المعيشي، بل حتى لغتها الخاصة التي تستخدمها للتواصل مع الآخرين، وفي رواية شرق النخيل يشير بهاء طاهر إلى ذلك الاختلاف الطبقي فانتقده ليحدث تغييرا في المجتمع بحيث يتناغم الوجود مع بعضه بعضا، وهذا نجده في نقده للحاج صادق وأولاده " ولم يفتني ما في هذا الترحيب المبالغ فيه من تعال وسخرية، فهم أسياد البلد منذ زمن بعيد، أما جدي فقد صنع نفسه بجهده، ...."[xxiii].

فاستخدم بهاء طاهر بعض الكلمات مثل (المبالغ فيه، تعال، سخرية، أسياد، بجهده) التي تشير إلى التفاوت الطبقي في المجتمع، وهذا ما يناقض النقد البيئي، فالنقد البيئي يدعو إلى المساواة بين جميع البشر، ويشير بهاء طاهر إلى الاختلاف الطبقي الذي يظهر بوضوح فالحاج صادق وأولاده يشكلون الطبقة الأرستقراطية الحاكمة صاحبة المكانة والرفعة، ويتابع الكاتب وصف مشهد الراوي الذي جاء ليصلح بين عمه وأولاد الحاج صادق الذي يوضح مدى التفاوت الطبقي الذي يصل إلى احتقار أولاد الحاج صادق للراوي، فاختاروا له مقعدا بعيدا عن مجلسهم " وأصروا في ترحيبهم الزائد بي على أن أجلس على مقعد مبطن له مساند .... ولكني صرت بذلك بعيدا عن المجلس الذي يضمهم وأصبحت عيونهم جميعا تحاصرني في استفهام"[xxiv].

قدم بهاء طاهر الراوي بطريقة سلبية بمجموعة من الكلمات من مثل (أن أجلس) التي تشير إلى تحديد موضع للراوي لإلزامه للجلوس فيه، دون أدنى اختيار منه، (صرت بعيدا) التي تصور مدى احتقار الطبقة العليا لمن هم أدنى منهم؛ لأن من المفترض أن الضيف يجلس في مقدمة الصفوف وليس في آخرها، فمن خلال الفقرة السابقة يتضح أن بهاء طاهر يدعو إلى تحقيق التعاون والمشاركة والسلام وانعدام العنف والمساواة في جميع مجالات الحياة اليومية والاستدامة البيئية هي السمات الأساسية والقيم الأولية، فالكاتب يرسم صورة لهذه العائلة الغنية المتعالية من خلال بعض الأوصاف مثل مقعد مبطن، مساند، كسوة، منضدة، منقوشة، الحاج، المجلس.

تدور أحدث رواية شرق النخيل في مجتمع صعيدي ريفي تحكمه قواعد وعادات وتقاليد، فالعلاقات الاجتماعية في هذا المجتمع تتخذ شكلا تقليديا، فالقرار يتخذ من قبل صاحب السلطة والقدرة، وقد رسم بهاء طاهر هذا من خلال التركيز على القيم الأخرى كالمساواة والمعرفة، والتحلي بالصفات الطيبة كإقراض الناس دون ربا؛ وذلك بهدف انتشال القرية المصرية من حالتها التقليدية إلى مجتمع حديث "سمعتها مرة تقول له يستر عليك الله هذا المال جمر... كانت أمي تسكت حين ينهرها أبي ويشتمها"[xxv].

فالكاتب يصور مدى غضب الأم ورفضها لمال زوجها لاختلاطه بالربا، لكنها في النهاية تسكت حينما تتعرض لسطوة الأب فيشتمها وينهرها، وفي هذا دعوة صريحة للمجتمع ليلتفت للمرأة المصرية التي تتعرض للإهانة والشتم حينما تعارض أفكارها ومعتقداتها فكر الزوج، فالزوج يستغل سطوته المتمثلة في الإنفاق على البيت وكذلك في كونه رجلا، فيستمر في عمله بالربا رغم رفض الزوجة، وحينما تعترض على ذلك يشتمها وينهرها، وهذا مثالا واضحا على ذكورية المجتمع الذي لا ينتصر لحق المرأة، هذا بمثابة أولى خطوات المجتمع لينتقل من التقليدية والجمود إلى الحضارة وسعة الأفق وتقبل الآخر.

ثم ينتقل بهاء طاهر إلى تقليد آخر يحاول أن يغيره في البيئة الريفية وهو كلام الناس الذي يثر الشحناء والبغضاء بين أفراد البيئة القروية، فيتمنى بها طاهر لو أن كل فرد ينشغل بأحواله تاركا الأخرين في أحوالهم.

فيقول الراوي للحاج جاسر " أهي أرض وحق أم مسخرة؟ ماذا يقول الناس عنا في البلد؟ أولاد الحاج صادق خافوا وفاتوا حقهم بقروش؟"[xxvi].

ثم ينتقل بهاء طاهر إلى قضية بيئية أخرى تتنافى مع البيئة وهي القتل والثأر، فأهالي الصعيد يحلون مشكلاتهم بالدم، والدم يجر وراءه دمٌ آخر وهكذا " فانطلق الرصاص وانكفأ الابن يحضن الأب.. والدم يجري مع الدم، رجع دم الابن إلى أبيه ورجعا معا لتراب الأرض... تقول إنها تربي ولدها ليأخذ بثأر أبيها وأخيها، جاء زوجها وبندقيته على كتفه ومعه أوراق "[xxvii].

ثانيا: الهروب إلى الريف والامتزاج به

جعل بهاء طاهر الريف ملاذا لمن ضاقت بهم الدنيا، ولمن تحطمت آماله، ملاذا تهدأ فيه النفس بعدما فكرت في الانتحار " وحين بحثوا عنك ولم يجدوك جئت أنا إلى هنا أجري في عتمة الليل وطاردتني كلاب ...تصورت أني سأجدك ميتا..." [xxviii].

فالراوي لم يجد شيئا يروح به عن نفسه ويسلوه في وحشته إلا الحديقة والزرع، فقد تلاحم الراوي مع البيئة تلاحما يجعله خال الذهن، حتى يستطيع أن يجد حلا للمشكلات التي تواجهه.

" ولكنني بكيت يوم تزوجت منيرة من ابن خالها بعد ذلك بسنة، يوم الفرح هربت إلى حديقة عمي القريبة من الجبل، وكان حسين يعرف مخبئي فجاء إلي وشكوت له"[xxix].

الفقرة السابقة بمثابة ميراث الإنسان الذي أدرك كيف يحيا على هذه الأرض لآلاف السنين دون تخريبها، فأساس الفكر التقليدي قائم على العلاقة بين الإنسان وباقي العالم.

" كانت هذه الكرمة مخبأنا وملاذنا، هنا هربت عندما تزوجت منيرة، وهنا كنا نأتي ونجلس نتبادل أنا وحسين الحكايات بالساعات"[xxx].

فبعد مرور الزمن بحسين والراوي ظلت الحديقة كما هي المأوى للراوي ولحسين يسترجعون فيه الذكريات، وهي الحاضر الذي التحموا فيها ليجدا حلا لأرض الحديقة التي يحاول أولاد الحاج صادق الاستيلاء عليها.

قد يكون من الصعب رسم صورة مفعمة بالحيوية لشيء مجرد كالانقراض والجفاف، ولكن بهاء طاهر جلب التشبيهات والصور الحسية للمشهد والصوت والرائحة في الفقرة التالية للقراء بتخيل مشاهدة الأحداث كما لو كانوا فيها:

" الأرض أزرعها وأعرفها من يوم أن مات أبي ومن قبل أن يموت، أرضي وقد نزل عرقي في كل شبر منها وقلبته يدي....وقال لي أتعرف كانت هذه الأرض كلها رملا وحسكا وزرعتها بيدي شجرة شجرة، الآن يريدون أن يأخذوا أرض الحديقة وتريدني أن أسكت؟"[xxxi].

من خلال الفقرة السابقة يتضح مدى تعلق العم وامتزاجه بالبيئة، فقد زرعها بيديه شجرة شجرة، وانساح عرقه في كل شبر منها، فالعم يزيد في صلاح الأرض فلا يتركها على حالها بل زادها صلاحها (هذه الأرض كلها رملا وحسكا وزرعتها بيدي شجرة شجرة) وأكبر دليل على امتزاج العم بالأرض أنه حينما يجتمع أولاد الحاج صادق حوله ليوقع على أوراق تنازل عن أرض

الحديقة فيرفض، فيطلق أولاد الحاج صادق عليه الرصاص فيقتلوه هو وابنه حسين ".... وعندما مد عمك يده ليبعد حسين عنه ظنوه سيخرج مسدسا من جيبه فانطلق الرصاص وانكفأ الابن يحضن الأب... والدم يجري مع الدم، رجع دم الابن إلى أبيه ورجعا معا لتراب الأرض..." [xxxii].

ويظل الكاتب مركزا على الناحية الطبيعية حيث البيئة الريفية الزراعية، والابتعاد عن كآبة المدينة "ذهبت في الليل إلى المكان أمام المسجد الصغير، استفهمت من جدرانه من ساحته الخارجية المكشوفة التي تحف بها لتحددها قطع صغيرة من الحجارة البيضاء... ظللت أمشي عبرت الجسر كله حتى وصلت إلى شاطئ النيل قرب المدينة، نزلت حتى حافة الطين لأمشي في النهر الأسود حتى الموت.... رأيت أعمدة المعبد القديم على الشط المقابل في ضوء القمر، كانت تشبه نخيلا بلا سعف، كانت حزينة... عينا فضية كبيرة تتطلع للخراب والحياة في هدوء وصمت"[xxxiii].

عقد بهاء طاهر من خلال الفقرة السابقة مقارنة بين القرية والمدينة؛ لأن القرية الحياة منسجمة فيها مع الطبيعة بخلاف الطبيعة التي تدخّل فيها الإنسان بالخراب والدمار، فالقرية كل شيء فيها أخضر (المسجد – الساحة الواسعة – الجسر) أما المدينة يستخدم الكاتب كلمات تؤدي إلى انقباض النفس مثل (النهر الأسود – الموت – نخيلا بلا سعف – حزينة – الخراب)

ثالثا: عناصر البيئة الخضراء

يقدم بهاء طاهر النباتات والحيوانات والأرض على أنهم أهل لاعتبار حقوقهم بدلا من كونهم صورا مجازية لشيء آخر، فيشير إليهم بشكل ملموس، ويتم عرضهم بشكل حيوي عن طريق إعطائهم دور الفاعل المستشعر.

وعند تدقيق النظر في قصة شرق النخيل نجدها تحفل كثيرا بالعناصر البيئية الخضراء المتمثلة في (الزروع – الأرض – الحيوان – الإنسان)

1- الزروع

شرق النخيل تزخر بالنباتات المختلفة في كل مكان، لكننا سنتحدث هنا عن النباتات ذات الصلة بالإنسان مثل (حشائش حديقة الجامعة – أحواض الزهور)

أ- حشائش حديقة الجامعة

تمثل الحشائش صدى لانعكاس مشاعر الراوي وصديقته ليلي، فمن خلالها يفرغ الراوي شحنات غضبه "وجلست على الحشائش الرطبة وراء المكتبة وأمامي قبة الجامعة...ألقت بالكتب على الحشائش ثم جلست بجواري...قالت صح النوم ألا تعلم أن هناك إضرابا ومظاهرات"[xxxiv].

ففي تلك المرحلة كانت تصيب الراوي حالة من الضعف والسكون واللامبالاة، فانعكس ذلك على الحشائش؛ وذلك من خلال استخدام الكاتب لبعض الألفاظ مثل (ألقت بالكتب) ففي هذه اللفظة من القوة والغضب، فكان يمكن للكاتب أن يستخدم لفظة (وضعت الكتب على الحشائش) التي توحي بالهدوء، فاستخدام الكاتب للفظة الأولى يومئ بما ستتحدث به ليلى بما يسبب الغضب للراوي، فكان طبيعيا أن يكون الحوار على النحو التالي "قالت وهي تتحاشى النظر في وجهي – أبدا احتل اليهود سيناء من حوالي أربع أو خمس سنين كما تعلم"[xxxv].

وحينما يحتد الحوار بين الراوي وليلى نجد غضب الراوي يعكسه على الحشائش " لماذا أنت متعب؟ – لا أدري لعلها مقدمات برد، أعرف سببا آخر سمير يقول لي، – لا تصدقيه، – وجهك أيضا يقول، – انتزعت قبضة من الحشائش وقلت..." [xxxvi].

فالراوي ينزع قبضة من الحشائش حينما ألحت ليلى عليه لتعرف سبب الإرهاق البادي على وجهه " ووجهي يقول لك أنا سكير وأشرب كل ليلة.." [xxxvii].

وحينما عجزت ليلى أن تجعل الراوي يتكلم أو يبوح لها بالحب، فكرت في تبدأ بحياة جديدة، وهذا انعكس أيضا على الحشائش، فتحولت من حشائش رطبة إلى جافة "قامت وراحت تنفض عن ثوبها الحشائش الجافة ثم ..." [xxxviii].

ب- أحواض الزهور

تعد الزهور في رواية شرق النخيل مرآة لتطور أحداث القصة، ففي بدايتها تكون متفتحة زاهرة، فتزهر معها الشخصيات، وحينما تذبل وتموت، تتعقد أحداث القصة وترتبك الشخصيات وتنطفئ "أحواض الزهور عن يميني حيث تموت زهور حمراء وزرقاء باهتة تحيط بها أسلاك شائكة علاها الصدأ وتقوست في وسطها حتى لامست الأرض"[xxxix].

يعرض النص السردي السابق مدى تضاؤل رقعة عناصر الطبيعة من خلال استخدام مجموعة من أفعال الهلاك مثل: تموت، باهتة، الصدأ، تقوست، لامست الأرض، كلها تدل على فعل متعمد من قبل البشر للقضاء على الطبيعة بطريق مباشر أو غير مباشر.

وعندما احتار ماذا يكتب لأبيه في الخطاب رأى الراوي الزهور بهذه الهيئة، فلم يستطع أن يكتب شيئا فقلب الصفحة وبدأ يكتب لأخته فريدة.

وفي حوار الراوي مع ليلى تغضب، ويزداد غضبها فينعكس ذلك أيضا على الزهور" حولت رأسها نحو أحواض الزهور ... وقالت بسرعة وعصبية – لم هذه الأزهار ميتة؟ لماذا هي ميتة دائما؟ ألا يسقونها أبدا؟ وما هذه الدموع"[xl]. فليلى رأت نفسها في تلك الزهور الذابلة، فالزهور لا أحد يسقيها بالماء، وليلي لا يرويها الراوي بكلمات الحب، فقولها(ألا يسقونها) دعوة صريحة من ليلى للاهتمام بعناصر البيئة –الزهور– فما المرأة إلا زهرة، وما الزهرة إلا الطبيعة، وخير تمثيل للطبيعة هي المرأة، فلو تمثلت الطبيعة في شيء لتمثلت في المرأة.

ويبدو تعلق عم الراوي بالنبات لدرجة أنه يعده امرأته أو أحد أبنائه " وأبي يقول لو مد أحد يده لفرع شجرة فسيقطع يده...الأرض حق أبي وأبي لا يفرط في حقه"[xli].

ثم يبين الكاتب مدى انفعال النبات بالإنسان الذي يهتم به ".وواجهتني في المدخل شجرة الموز بأوراقها العريضة الخضراء، وقد تهدل على الجانبين منها ورقتان مصفرتان كذراعين يتأهبان للاحتضان"[xlii].

أدرك بهاء طاهر القيمة الجوهرية للإنسان، والحيوانات، والنباتات، والعالم الطبيعي، أي قيمتهم الأبعد من استخدامهم المباشر قصير المدى للإنسان، فإدراك قيمة البيئة يشجع الناس على حماية وصيانة الأوضاع التي تدعم الحياة بما تشتمل على حياة الإنسان، فالجد أصلح الأرض فجادت عليه بالخير الكثير، فضلا عن انفعال الطبيعة به، فبمجرد أن ينفتح الباب الخشبي للحديقة تستقبل شجرة الموز القادم بمد اوراقها متأهبة لاحتضان القادم، وشجر التين الذي يلقي ظلاله على أرض الحديقة مانحا إياها جوا هادئا، وشجر الجوافة الذي يفوح عطره في أرجاء المكان مانحا الحديقة جوا ذا رائحة ذكية، وكرمة العنب التي هيأت مكانا صالحا للجلوس تحتها بما تفيضه من ظليل في الجو الحار.

وتبدو رغبة الكاتب في نشر ثقافة خضراء من خلال صبغ الكون المحيط به باللون الأخضر، حتى البشر جعل الراوي الجمال ينحصر في العيون الخضراء، وكذلك الملابس صبغها باللون الأخضر لترسم لوحة فنية مفعمة بالجمال والرونق " ليلي كانت أجمل بكثير وفي تلك الليلة كانت أجمل من كل يوم، كانت تلبس فستانا أخضر بلون عينيها، وتحيط عنقها بعقد من اللؤلؤ الأبيض وعيناها تتألقان"[xliii].

2-الأرض

من خلال تدقيق النظر في قصة شرق النخيل يتضح مدى رغبة بهاء طاهر في إبراز أهمية الأرض وتعلق الإنسان بها، هذا التعلق قد يفقده حياته نظير حمايتها والحفاظ عليها، فهي بمثابة الشرف "الأرض أزرعها وأعرفها من يوم أن مات أبي ومن قبل أن يموت، وقد نزل عرقي في كل شبر منها وقلبته يدي...هذه الأرض كلها رملا وحسكا وزرعتها بيدي شجرة شجرة، الآن يريدون أن يأخذوا أرض الحديقة وتريدني أن أسكت؟"[xliv].

وكان الثمن دم عم الراوي وحسين مقابل الحفاظ على الأرض، وقبل هذا نصح العم أبا الراوي بعدما طلب منه مناصرته ضد أولاد الحاج صادق.

فعم الراوي والجد يمثلا الجانب الأخضر في الرواية من حيث الحفاظ على الأرض، بل خير من يمثلا مصطلح البيئة العميقة الذي يدعو إلى الحفاظ على البيئة وتثميرها "أرض الحديقة هذه كانت أول أرض أصلحها جدك..." [xlv].

وينتقل الراوي ليبين مدى كرم الأرض حينما لا يستعلي عليها الإنسان ويدرك مهمته في الوجود وهي إصلاح الكون ، فتعطيه الطبيعة من الخيرات أضعافا ما يعطيه الإنسان لها من جهده، فيكثر المحصول فيزداد المال في يد الجد فيشتري وابورا، فيزرع ثلاثة مواسم، فيزداد الخير "فأصبحت أرضه تزرع ثلاثة مواسم... وخلف جدي لولديه أرضا غنية وحديقة وكثيرا من الخيل"[xlvi].

"حفر جدك الآبار وغرس أشجار البرتقال وشجر التين في الأرض التي صارت بعد ذلك حديقة،...الأرض صحت والزراعة صحت، واخضرت الأرض التي كانت خرابا"[xlvii].

كيف لا تنبت وقد أولاها الجد جل اهتمامه؟! فأهل القرية ينظرون إلى الجد في سخرية لما يفعله في جلب المشقة له، فكان يمكنه أن يوفر جهده في استئجار أرض الحاج صادق، ولكنه رفض، ومادام لم يضن على الطبيعة بجهده فلم تضن عليه الطبيعة بخيراتها، لدرجة طمع أولاد الحاج صادق فيما بعد في الحديقة وأرادوا أن يستولوا عليها بحجة أن معهم أوراقا قديمة.

ويمتد هذا التعلق بين الطبيعة والإنسان إلى عم الراوي "تلمع عيناه عميقتا السواد وهو يحكي عن النخل والسماد والجبل والجمال في صوت منغم بالخشوع والحب"[xlviii].

فعين عم الراوي تلمع إعجابا بما فعله أبوه، وحسرة ما يجده في قومه من إهمال للطبيعة، وسوء الاستغلال لها، فيستمر الراوي في قص سلسلة من علاقة الجد بالحصان وبطولات الحصان مع الجد في إنقاذ أهل القرية، عندما ضجت الطبيعة بالإنسان الذي استغلها أسوء استغلال، فأرادت أن تغرقه" حين حل السيل الكبير بالبلد ليلا وأغرقها وهرب من استطاع إلى الجبل، خاض هو بحصانه في الماء وراح ينتشل النساء والأطفال"[xlix].

3–الحيوان

ومن الحيوانات المرتبطة بشخصيات القصة في شرق النخيل (الكلب – الحمار – الحصان)

أ–الكلب

هذا الحيوان خير مثال على الطبيعة، فهو لا يلق اهتماما من شخصيات القصة، فلا يقدمون له الطعام أو الماء، فقررت طبيعة الكلب ألا تنفعهم منه بشيء " وراح الكلب ينبح نباحا شديدا خارج البيت... قالت فريدة غريب هذا الكلب، ينبح بلا سبب وإذا اقترب أحد من البيت يظل ساكنا، ينام أغلب الوقت... لا نعرف أن أحدا يزورنا إلا إذا طرق الباب"[l]. فالكاتب يدعو إلى الاهتمام بجميع مظاهر الطبيعة، فسابقا كانت الحشائش والزهور والحديقة بجميع أشجارها، وها هو يدعو إلى الاهتمام بالحيوان، فالكلب ينام أغلب الوقت بسبب الضعف الذي نتج عن الجوع، في الماضي قدموا له الطعام والماء، وفي المقابل قدم لهم الكلب خدمة حراسة البيت، فاستغلوا هذا الكلب دون رعايته فأهملوه، فأهملهم هو الآخر، فهي رسالة واضحة من بهاء طاهر يحذر فيها الإنسان من استغلال الطبيعة دون المحافظة عليها أو تهيئة ما يضمن لها البقاء؛ حتى لا ينقلب الأمر عليه بالسلب.

وهناك مثال آخر يضربه الكاتب ليصور مدى اعتداء الإنسان على الطبيعة، بل وتعاليه عليها؛ لاعتقاده أنه مركز الأرض "فركت النملة الصغيرة بين أصابعي وظننت أنها تموت عندما رأيتها ترتجف وقد تقوس جسمها إلى نصفين ولكنها راحت تحرك أرجلها الصغيرة وتمشي ببطء على أصبعي المبللة بالعرق فاضطررت أن أقتلها بإحكام وقمت وأنا أنفضها من بين أصابعي"[li].

ففي الفقرة السابقة يتضح مدى سوء تعامل الإنسان مع الطبيعة التي تحيط به، ومدى إصراره على القضاء عليها (تقوس جسمها إلى نصفين ولكنها راحت تحرك أرجلها ... فاضطررت أن أقتلها بإحكام) فالنملة ما هي إلا البيئة التي تحيط بالإنسان والراوي ما هو إلا الإنسان الذي رسخ في معتقده أنه سيد هذا الكون، وأن كل الأشياء من حوله يمكن أن يمنحه الحياة أو يسلبه إياها.

وكانت فريدة أخت الراوي أول من تنبه إلى أن الإنسان أضعف كائن في الكون، فهو دوما في حاجة إلى الآخرين، بل وتتحكم به كل عناصر الطبيعة، بل إن النباتات التي يظن الإنسان أنها ساكنة جامدة، وأن الإنسان متميزا عنها بحركته وسكونه، فإنها تعيش في سعادة دائمة، هذه السعادة لا تتاح للإنسان ذاته، فالزروع تعيش في وقت واحد، وتموت في وقت واحد، فلا يشقى أحدهم بموت الأخر "لو أننا نموت جميعا أنا وأنت وكل من نحب، كلنا معا، في وقت واحد حتى لا يحزن أحد على أحد ولا يبك أحد على أحد، لو أن الناس كالزرع"[lii].

" لو أن الناس كالزرع ينبتون معا ويحصدون معا فلا يحزن أحد على أحد ولا يبك أحد على من يحب، لو يحصد زرعا لبشر الذي ينبت معا كله في وقت واحد، ثم يأتي نبت جديد يخضر ويكبر، لا يذكر شيئا عما سبقه ولا يفكر فيما سيجيء"[liii].

ينسب بهاء طاهر الفهم والإدراك إلى الكلب، في حين ينزعها عن الإنسان، الحيوان يعرف مهمته في الوجود، التي أحيانا ينساها الإنسان، وحينما ينساها يحدث لديه تشوش في إدراك المحيط به، في الوقت الذي ينسى الإنسان مهمته، تظل الموجودات حوله (الكلب) مدركة مهمتها في الوجود، فالكلب والحصان أدركا ما حدث لصاحبهما (عم الراوي) حينما قتله أولاد الحاج صادق، رغم أن أخاه لم يشعر بشيء تجاه أخيه " ولكن سبحانك يا ربي هل يفهم الحيوان ولا يفهم الإنسان؟! "[liv].

فالكلب يجري وراء الحصان وينبح مستغيثا متوسلا لأحد لينقذ صاحبه "جاء الحصان ووقف أمام الباب يصرخ والكلب من ورائه ينبح"[lv].

ب– الحمار

يجسد بهاء طاهر تعدي الإنسان على فيما حوله من الكائنات، فتصبر الطبيعة بعض الوقت، وحينما يفيض الكيل تصب عليه لعناتها، وتصيبه من جنس عمله.

" فريدة ومنيرة تركبان حمارا صغيرا ... وكانت تتشبث بمنيرة التي أمسكت بالعصا وراحت تتعجل الحمار بضربات سريعة هينة على رقبته، وكنت أنا أركب العجلة وحسين أمامي... ثم بدأت أعاكسها،...أندفع مسرعا وأنا أضرب الجرس فيجفل الحمار فجأة في ذعر، ويقترب من حافة الجسر وتصرخ منيرة وفريدة، ....وبينما كنت أقترب منهما في المرة الثالثة أو الرابعة توقف الحمار فجأة...واندفعت العجلة وسقطنا أنا وحسين من على الجسر"[lvi].

فحينما تعاملت منيرة مع الحمار حسب طبيعته من خلال ضربه ضربات هينة سار كل شيء طبيعيا، إلى أن جاء الراوي –الإنسان– مستعرضا قوته على الحمار –الطبيعة– من خلال إصابة الحمار –الطبيعة– بالذعر بتعديه عليه باندفاعه مسرعا وهو يضرب الجرس فيجفل الحمار، وظل الحمار –الطبيعة– بعيدا عن الراوي –الإنسان– إلى أن نفد صبره، فكان الجزاء من جنس عمل الراوي، فتوقف الحمار فجأة، فوقع الراوي –الإنسان– وسقطوا، فتضامنت عناصر الطبيعة مع الحمار، فرفضت أن تتلقى الراوي –الإنسان– فنبذه الزرع ، بسبب تعديه سابقا عليه (الحشائش والزهور التي ماتت لأنه لم يسقيها، والنملة التي فركها بأصابعه)، وكذلك لم يتلقفه الطين وهو أقل ليونة من الزرع، وكذلك لفظته الترعة، إنما سقط في حفرة صنعها الإنسان حفرة مليئة بالأشواك، وهي رصيد الإنسان من الطبيعة، فهو يصنع الحفر ويضع فيها الأشواك بيده، وفي النهاية يقع فيها.

وكانت فريدة كذلك أول من تنبه لهذا فقد نصحت أخاها " وقالت فريدة أن ربنا يخلص الذنب"[lvii].

فالفقرة السابقة نداء صريح من بهاء طاهر يدعو فيها الإنسان للمحافظة على البيئة، وإلا سيجني ثمرة ذنبه أشواكا توخز في ظهره.

ج- الحصان

هذا الحيوان الذي يمنح صفة القوة والشجاعة لمن يمتطيه، ففي شرق النخيل نجد بهاء طاهر يعقد علاقة ألفة ومحبة بين الخيل وعم الراوي، وكلما اشتدت الأحداث حول عم الراوي زاد ظهور الحصان داخل القصة ومدى تعلقه بعم الراوي " دار عمي حول البيت حيث كان يربط حصانه... بل غمز عمي الحصان في جنبه بقدميه فمرق مسرعا وهو منتصب على صهوته يرتفع ويهبط عليها بجسمه كله دون أن ينحني..." [lviii].

فمن خلال الفقرة السابقة يتضح مدى تعلق عم الراوي بالحصان فهو يربطه؛ حفاظا عليه من السرقة، وحينما امتطى عم الراوي الحصان، بادله الحصان بمنحه صفة من صفاته وهي القوة والفروسية "قلت لعمي أنت فارس بلدتنا"[lix]. ومن الواضح أن هذه الصفات هي صفات الحصان، فأراد الكاتب أن يبين مدى امتزاج كليهما في الأخر، فقال الراوي لعمه (أنت فارس بلدتنا) لحبه الشديد للخيل فضلا عن امتلاكه صفات الخيل (الفروسية- العيون الواسعة – القامة الطويلة).

وبعد ذلك ينتقل بنا الكاتب إلى علاقة أكثر التحاما وهي علاقة جد الراوي بالحصان "جدك هو الفارس الحق.. أتصدق أنه كان يثب بحصانه فوق قواديس الساقية؟ أتصدق أني رأيته وهو يحرس الأجران يوقف الحصان ساكنا بالساعات لا يتحرك ولا تسمع له صوتا حتى لتظن أنه لا يتنفس"[lx].

فالحصان يشارك جد الراوي في حراسة الأجران من السرقة، فيظل الحصان ساكنا لا يتحرك لدرجة يظن الرائي أن الحصان لا يتنفس، فكلما زاد اهتمام الإنسان بما حوله من عناصر الطبيعة، زاد تعلق الطبيعة به، بل وأعطته أكثر مما يتوقع، وإذا ما تعالى عليها بقوته وسيطرته وإفساده فيها، ظنا منه أنه سيد عليها، ضنت عليه بخيراتها، وربما تحرمه منها.

ولم تقتصر مساعدة الحصان على هذا الحد، بل ساعد جد الراوي في إصلاح الأرض "وهل تعرف كيف أصلح جدك الأرض؟...وبدأ جدك يذهب وراء الجبل، ثم يعود وقد حمل حصانه ترابا أحمر يغمر به الأرض... لكنه يعود وحصانه محمل بالسماد الذي اكتشفه في الجبل والذي لم يعرف أحد طريقه بعده"[lxi].

فالجد يحب الطبيعة بكل عناصرها، فلا تضن الطبيعة عليه بخيراتها، فالحصان يساعده في إصلاح الأرض (الطبيعة)، ومن ناحية أخرى يمنحه الجبل التراب الأحمر الذي لا يمنحه لأحد من بعد الجد، فالجد والحصان والأرض والجبل في حالة من الانسجام، فجميعهم يكمل الآخر، ولا يستغني أحدهم عن الآخر، فالأرض تحتاج للجد ليصلحها، لتصبح صالحة للزرع، والجد يحتاج للجبل ليصلح به الأرض، والجد يحتاج أيضا للحصان ليحمل عنه التراب الأحمر.

يقف الحصان شاهدا على الأحداث، يرى صاحبه يحافظ على الأرض ويصلحها وينسجم معها، وعلى الطرف المقابل يشاهد أبا الراوي وابنه اللذين لم يحركا ساكنا، ولم يقفا بجانب عم الراوي، فيغضب الحصان من الراوي ومن أبيه فلا يطيق رؤيتهما "وحين اقتربت من البيت أدار الحصان رقبته ونظر لي بعينيه الكبيرة، وهو يكشف أسنانه الطويلة ويدق حافره في الأرض محمحما في غضب وإنذار بأن ابتعد عنه"[lxii].

وحينما يتحدث الراوي وحسين –وهما راكبين عربة الحصان– عن النزاع حول الأرض، فيقترح الراوي أن يحاول حسين أن يقنع عمه أن يترك الأرض لأولاد الحاج صادق، وفي المقابل أن يأخذوا أرض أخرى، حينما يسمع الحصان ذلك يتوقف عن السير ويغضب، ويضن عليهما بالمسير " ثم فجأة توقف الحصان في الطريق، فرقع حسين بالسوط فوق رقبته ولسعه بخفة لكنه لم يزد عن أن شب على ساقيه الخلفيتين وهو يصهل فارتجت العربة مندفعة للخلف ....لكن الحصان رفض أن يتحرك، ونزلت أنا أيضا"[lxiii].

حينما ظن الإنسان أنه سيد هذا الكون، وأن كل شيء فيه يسير بإرادته، فأساء استخدام موارده، وفرط فيما يمتلكه من الأرض لأناس لا يقدرونها، فانقلبت عليه الطبيعة، ورفضت أن تطيعه، حينما رفض الراوي وأبوه أن يقفا بجانب عم الراوي الذي يحب الأرض ويزرعها، وتحدث الراوي بكلمات توحي بالرغبة في ترك الأرض لأولاد الحاج الصادق، توقف الحصان ورفض أن يوصلهما إلى المحطة، فكما لا يريد الراوي أن يساعد عمه في الحفاظ على الأرض، ضن عليه الحصان في أن يوصله لمبتغاه (المحطة).

فتنبه حسين إلى ذلك فقال "حتى هذا الحصان لا يريدك أن تسافر...وعلى العموم لو عرف أن بقائي كعدمه لما اهتم لسفري"[lxiv].

فالحصان يرفض سفر الراوي حتى يشد من عضد عمه في الحفاظ على أرضه، فالحصان يدرك جيدا ما يحدث حوله من أحداث، بل ويعي أكثر من الإنسان ذاته، فعندما تحدث حسين والراوي عن حلمهما بإنهاء الخلافات، وأن تصبح الحديقة ملكهما للأبد، ويتزوج الراوي من ليلى ويتزوج حسين من فريدة ويلعب أولادهما في الحديقة، كما كانا يلعبان معا، سمع الحصان ذلك، فانتشا فرحا "وبدأ الحصان يسير من تلقاء نفسه ببطء ولجامه مرخي"[lxv].

لم يتوقف بهاء طاهر إلى هذا الحد فحسب، بل يجعل الحيوان (الحصان) يصل إلى مراتب إدراك لا يصل إليها الإنسان، فالحصان يشعر بعم الراوي حينما قتله أولاد الحاج صادق، فيقول الكاتب على لسان الراوي هل يفهم الحيوان ولا يفهم الإنسان؟!"[lxvi]، فالحصان يشعر بصاحبه، والراوي لم يشعر بشيء تجاه عمه، الحصان يذهب لبيت الراوي ليتوسل بوالد الراوي، والراوي وأبوه لم يشعرا بشيء، الحصان أول من بكى على صاحبه، الراوي "كانت في عيني الحصان دموع، وعندما رآني صرخ مرة أخرى ودق الأرض ودفع رأسه إلى صدري ثم رفع رجله كأنه سيدخل البيت"[lxvii].

وينتقل الكاتب إلى مشهد أكثر تأثرا وانفعالا للحصان الذي يدرك جيدا ما يحدث حوله ويتفاعل معه، وذلك عندما رأى الحصان صاحبه وحسين غارقان في دمهما على الأرض " وعندما رأى الحصان ما جرى كسر وتده وجرى إلى هنا"[lxviii].

4- الإنسان

جعل بهاء طاهر الإنسان جزءا من الطبيعة، وذلك من خلال عطف القوي على الضعيف، وكرم الغني على الفقير، وبهذا يعيش الإنسان في انسجام تام مع البيئة الخضراء، فصلاح الإنسان ليس مقتصرا على البيئة الخضراء (النبات – الحيوان – الجماد) فحسب، بل إصلاح الإنسان لأخيه الإنسان " وقال لي بلهجة آمرة املأ هذا الكوز بالماء، ولما ملأته قال تعال معي، بدا علي التردد فأمسكني أبي من كتفي وقال بصوت خفيض كأنه لا يخاطبني ستأتي معي يا حسين وستسقي الرجل البشاري المريض بنفسك"[lxix].

فمن خلال العرض السابق يتضح مدى رغبة بهاء طاهر في نشر فضيلة الجود، المتمثلة في أن يعطي مَن يملك مَن لا يملك، فالبشاري رجل فقير هزيل، هذا الفقر انعكس على جسده النحيل

الأسود الذي يلمع بالعرق، عينيه المحمرتين، يرقد على بطنه من ألم الجوع وإرهاق العطش، يهرب حسين من هذا المنظر، فيتلقفه أبوه معلما إياه ألا ينفر من ذوي الحاجات، معلما إياه كيف يعطي، فيأمره أبوه أن يملأ الكوز، وأن يأتي معه ليسقي هذا الرجل بيده، وهذا ما تدعو إليه الإيكولوجيا الاجتماعية بتشجيع موقف المساواة من جانب البشر ليس فقط تجاه الطبيعة، ولكن أيضًا تجاه جميع الكيانات أو الأشكال التي يمكن تحديدها في المحيط البيئي؛ وبالتالي "فإن هذا الموقف يهدف إلى التوسع – على سبيل المثال– إلى هذه الكيانات (أو الأشكال) مثل الأنهار والمناظر الطبيعية وحتى الأنواع والأنظمة الاجتماعية" [lxx].

ينكر بهاء طاهر ما حدث للناس في هذه الدنيا، القوي يأكل الضعيف، والغني يستولي على الفقير، والسيد يحاول أن يبطش بالآخرين ليظل سيدا عليهم " في هذه الدنيا الملعونة، إما أن تأكل الناس وإما أن يأكلك الناس، إما أن تخاف من الناس وإما أن يخاف الناس منك"[lxxi].

ثم يستحضر الكاتب مشهدًا آخر لعجوز يريد أن يذهب إلى بيته فيجد حظر التجوال والعساكر يقفون في الطرقات يمنعون الناس السير في أحد الشوارع، فيتوسل العجوز للضابط بأن بيته قريبا من هذا الشارع ولا يوجد طريق آخر لبيته، فينهره الضابط ويتركه، فيبك العجوز حزنا، فيصور الكاتب هذا الضابط بأنه حجر، وأن هذا الحجر سيتزوج لينجب أحجارا صغيرة، وهكذا يمتلئ العالم بأحجار صغيرة من ذاك الضابط، وفي هذا دعوة صريحة من بهاء طاهر لحسن تعامل الإنسان للإنسان، ولا يشعر أحد أنه يتعالى على الآخر، فهو يدعو إلى المساواة بين كل الناس "وقال رجل عجوز....يا حضرة الضابط أنا أسكن في حي معروف كيف أذهب لبيتي من العتبة؟ هذا ثالث مكان أحاول أن أمر منه لأذهب إلى بيتي وفي كل مرة يحولونني لمكان آخر، أعطاه حضرته ظهره" [lxxii].

رابعا: البيئة الخضراء في القرية والمدينة

ونهدف هنا إلى عقد مقارنة بين البيئة الخضراء في القرية والمدينة، وعند تدقيق النظر في شرق النخيل نجد بهاء طاهر يعقد مقارنة بينهما من خلال (النباتات – البيت – الليل – الشارع).

النباتات

يعقد بهاء طاهر مقارنة بين بيئة المدينة والقرية، فنجد بيئة المدينة والقرية كلاهما يحتوي على الأشجار، ولكن أشجار القرية تنبض بالحياة والاخضرار، أما أشجار المدينة يغلب عليها الجفاف والاصفرار، ففي المدينة يقول " أحواض الزهور عن يميني تموت"[lxxiii].

ورغم ما في المدينة من جفاف إلا أن الراوي يظل يبحث عن مكان يشبه قريته فيجد نخلة وراء المكتبة يجلس تحتها متأملا في الخطاب الذي أرسله له أبوه " كنت أعلم أني سأجدك هنا خلف المكتبة وتحت النخلة"[lxxiv].

ففي الريف نجد النخل في كل مكان " وأخذني من يدي لأرض الشرق وقال كل هذه النخلات لك، وكل الأرض في شرقها حتى الجبل لك ولأخيك"[lxxv].

" وحين يروي عمي عن أبيه تلمع عيناه عميقتا السواد وهو يحكي عن النخل والسماد والجبل والجمال في صوت منغم بالخشوع والحب"[lxxvi].

وحينما يقع الراوي في حب فتاة فإنه يحب فتاة ذا عيون خضراء، تلك العيون تربطه ببيئته الريفية التي تربى فيها "تتطلع ليلي إلي بعينيها الخضراوين نفس النظرة الثابتة الهادئة التي طالما أحببتها"[lxxvii].

ويعجب الراوي كثيرا بليلى حينما ترتدي ملابس ذات لون أخضر فتبدو أكثر جمالا؛ لأنها بذلك تشبه البيئة الريفية الخضراء التي تنبض بالحياة "كانت تلبس فستانا أخضر بلون عينيها"[lxxviii].

أما الأزهار في المدينة ميتة "وقالت بسرعة وعصبية – لم هذه الأزهار ميتة؟ لماذا هي ميتة دائما؟ ألا يسقونها أبدا؟ "[lxxix].

أ–البيت

البيت في القرية يختلف حتما عن المدينة، ففي القرية ينبض بالحياة والألفة أما المدينة يغلب عليه أحيانا الجمود، ففي القرية "كانت الشمس تملأ صحن البيت، وقد انزوى الجميع في بقعة الظل الصغيرة خلف المدخل"[lxxx].

ومن الواضح أن الجميع يجلس على الأرض في القرية، أما البيت في المدينة "جلست على كرسي في الصالة ووضعت حقيبتها على المائدة"[lxxxi].

وفي القرية إذا جلس أحدهم فإنه يجلس على دكة "أدركته وهو يجلس على دكته العالية في صحن البيت"[lxxxii].

أما المدينة فيغلب عليه الكآبة "كان البيت معتما وحارا"[lxxxiii].

ج– الليل

الليل ف المدينة يختلف عنه في القرية، ففي القرية "كانت الليلة حارة وساكنة والقمر المستدير ينشر نوره في السماء كسحابة دخان تتناثر على البعد منها نجوم تومض بارتعاشات قلقة"[lxxxiv].

والليل في المدينة "كانت السماء مبدورة بنجوم كثيرة كالثقوب الصغيرة ولا قمر، وعلى البعد أنوار خافتة متفرقة، نجوم كابية تثقب كتلة المدينة المظلمة المهوشة، ومن بعيد تأتي أصوات نشيج ممتد، نباح كلاب أو عواء ذئاب وضباع"[lxxxv].

د– الشارع

يختلف الشارع في المدينة بالطبع عنه في القرية، ففي المدينة "ففي الطريق إلى البيت رأيت قبل أن أعبر كوبري الجامعة جنودا ملتفين حول عربة سوداء بداخلها ضابط ولها إريال، وتكررت نفس الصورة عند طرف الكوبري الآخر وأمام كلية الطب، ودخلنا شارعنا الصغير في المنيرة رأيت ثلاث عربات للأمن المركزي ممتلئة بجنود"[lxxxvi].

أما الشارع في الريف "كنا على الجسر قرب الغروب... أسفل الطريق على الجانبين الزرع الصيفي الأخضر الجديد"[lxxxvii].

والشارع في المدينة يغلب عليه الكآبة والحزن "نزلت حتى حافة الطين لأمشي في النهر الأسود حتى الموت.... كانت تشبه نخيلا بلا سعف، كانت حزينة... عينا فضية كبيرة تتطلع للخراب "[lxxxviii].

في المدينة يسمى كوبري، وفي القرية يسمى جسرا "وكنا في الغروب ولما أردت أن أودعها وأتركها ... قلت لها أني سأعبر كوبري الجامعة وأمشي حتى المنيرة... فارتطمت يدها بالسور الحديدي للكوبري"[lxxxix].

أما الشارع في المدينة "مشينا في شارع الفلكي الذي تحفه أشجار قصيرة وظلمة مبكرة... تطلعت للسماء فرأيت سحبا سريعة داكنة تتدافع لتبتلع قمرا هلاليا وليدا، تابعتها وهي تغزل نحوه خيوطها

الشفافة البيضاء إلى أن اختنق وركد ثم أقبلت السحب الدخانية السوداء على عجل فابتلعته واختفى"[xc].

الشارع في القرية يبعث البهجة والطمأنينة، أما الشارع في المدينة يبعث الضيق "أشعر بانقباض من هذا الشارع"[xci]. هذه الجملة على لسان سمير حينما مشيا هو والراوي وسوزي في شارع الفلكي.

أيّا كان الأمر فقد انهارت المقدسات بموت عم الراوي، وأوقف عالم شرق النخيل أكثر من أي حدث آخر، وتسارعت عقول شخصيات القصة ذهابا وإيابا تتوق شوقا للعودة إلى الحالة الطبيعية في محاولة حياكة مستقبلها بماضيها مع رفض الاعتراف بالأزمة التي يعانون منها، رغم أن الأزمة موجودة، إلا أنه وسط هذا الإحباط الذي يحيط بهم، فإنهم يبحثون عن فرصة لإعادة التفكير في ماكينة الفناء التي بنوها لأنفسهم، فليس هناك شيء أصعب من العودة إلى الحالة الطبيعية.

المبحث الثاني: جماليات التشكيل البيئي

أولا: تشكيل اللغة البيئية الخضراء

في شرق النخيل تطغى اللغة الشاعرية الحزينة على الراوي، فهو يستقبل اليوم الأول بلغة تفيض حزنا وألما "أبي رأى مني ما فيه الكفاية وأنه لا تقصه الهموم... ثم إنه يبكي الآن بدل الدموع دما.... طويت الخطاب وجلست على الحشائش الرطبة ... أحواض الزهور عن يميني حيث تموت زهور حمراء وزرقاء باهتة تحيط بها أسلاك شائكة علاها الصدأ وتقوست في وسطها حتى لامست الأرض"[xcii]، فقد بدأ الكاتب القصة بنهاية الأحداث؛ ليبرز النتيجة التي آلت لشخوص القصة جراء تعديهم على الطبيعة، واستغلالهم إياها استغلالا سيئا.

ومن الملاحظ أن اللغة الشعرية تتعمق في المعنى، لتسمو على الأداء التقريري الجاف، " لو أننا نموت جميعا أنا وأنت وكل من نحب، كلنا معا، في وقت واحد حتى لا يحزن أحد على أحد ولا يبك أحد على أحد، لو أن الناس كالزرع"[xciii]، فالمعنى الواضح لو أصبح الإنسان مثل الزرع بلا إحساس، حتى لا يدرك فقدان عزيز لديه، أما المعنى العميق لو أن الإنسان مثل الزرع في تحقيق المنفعة لغيره من الكائنات دون أن تمتد يده إلى الصالح فتفسده، وبالتالي يبني الكاتب

استنتاجا لهوية الكون، وهو أن الإنسان ليس جزءا من الطبيعة فحسب، ولكنه أيضا جزء من الكون الذي ولد وتطور، وأن شخوص القصة في خطر من تدمير هذا الكون، وبالتالي فإنهم يدمرون أنفسهم.

فالجد كناية عن الكون، وخَلَفَه عم الراوي، وأولاد الحاج صادق كناية عن الدول المتقدمة التي تستغل الطبيعة أسوأ استغلال وتطمع في الاستحواذ عليها بشكل كامل، بغض النظر أن كان ذلك يضر بالطبيعة أو ينفعها، والجسر والكوبري والجنود كناية عن الإنجازات الثقافية، ومن العجيب أن الكاتب يسلب القوة من الجنس البشري ويمنحها للطبيعة الكونية التي تعمل من خلال البشر، وبالتالي يسمح النشاط البيئي باستمرارية البقاء على الأرض.

اللغة الوصفية: تتميز لغة السرد البيئي في شرق النخيل بالسهولة والوضوح، والابتعاد عن الغموض، وتجلى ذلك في الكلمات المستخدمة التي مالت إلى البساطة والوضوح، "في الجامعة جلست على الحشائش الرطبة وراء المكتبة وأمامي قبة الجامعة تلمع تحت الشمس مثل كأس خرافي مقلوب... أحواض الزهور عن يميني تموت زهور زرقاء وحمراء باهتة تحيط بها أسلاك علاها الصدأ وتقوست في وسطها حتى لامست الأرض"[xciv].

وجمالية هذا الوصف أنه جاء نافعا للسرد، مطورا للحدث، مسلطا الضوء على البيئة الخضراء التي تُنتهك من قبل البشر، ومن الملاحظ أن وصف شرق النخيل جاء بسيطا لا مركبا ولا معقدا على غرار البيئة الخضراء المحيطة بالإنسان التي تأتي في صورة بسيطة سلسة، "عندما فتحت عيني كان جزء لامع من الشمس يطل علي من بين سعف النخيل... ونملة تلدغني في رقبتي... فركت النملة الصغيرة بين أصابعي وظننت أنها تموت عندما رأيتها ترتجف وقد تقوس جسمها إلى نصفين ولكنها راحت تحرك أرجلها الصغيرة وتمشي ببطء على أصبعي المبللة بالعرق فاضطررت أن أقتلها بإحكام وقمت وأنا أنفضها من بين أصابعي"[xcv]. فالمقطع السابق يعكس تصرف الإنسان السلبي تجاه البيئة الخضراء المحيطة به، وقد برزت مهارة بهاء طاهر في استخدام الوصف دون تكلف أو إسراف مذموم.

وفي مقطع آخر يقول: "ففي الطريق إلى البيت رأيت قبل أن أعبر كوبري الجامعة جنودا ملتفين حول عربة سوداء بداخلها ضابط ولها إريال، وتكررت الصورة نفسها عند طرف الكوبري الآخر

وأمام كلية الطب، ودخلنا شارعنا الصغير في المنيرة رأيت ثلاث عربات للأمن المركزي ممتلئة بجنود يلبسون الخوذات ويمسكون العصا...."[xcvi]، ففي الوصف السابق ينقل الكاتب للمتلقي سلوكيات الإنسان الفاسدة تجاه البيئة، من خلال إشاعة الخوف والذعر في أخيه الإنسان، فيجعل الكاتب الإنسان البسيط عنصرا من عناصر البيئة الخضراء، فالرجل العجوز الذي يحاول أن يصل إلى بيته فيمنعه الضابط، فيتوسل العجوز، فيقابل الضابط توسلاته بالصد والضرب "... وبعد كل كلمة كان يمسح شفته بلسانه كأنه ينتزع الكلام من لحمه الحي، مع ذلك قال له مش شغلي، ناس حجر،... كلنا حجر... كل الناس حجر، تصور حجرا من نوع مش شغلي، يتزوج حجرة تشبهه فينجبان حجرا صغيرا...حجر صغير هكذا لكنه يلبس بذلة.. حجر ... حجر نونو لكن ناصح كأبيه وأمه.. حجر يتعلم ويصبح دكتورا يتفرج على الناس في المستشفى تموت وكأنه في السينما ثم .. يصبح حجرا عجوزا كالأفندي الكلب صاحب المظاهرات ضد الإنجليز.. حجر كركوب... نعم حجارة تلد حجارة من أشباهنا والدنيا ماشية من ليس حجرا... [xcvii].

وقد اتضح من الأوصاف السابقة أن الكاتب يهدف من خلالها نقل الأشياء المادية والعواطف التي تعتري الشخصيات بدقة ووضوح، فضلا عن أنها تسهم في تصوير عناصر البيئة الخضراء جميعها دون غموض أو تعقيد، مما يدل على حرص الكاتب على انتهاج منهجا يتسم بالدقة والوضوح على غرار البيئة الخضراء البسيطة.

جاءت لغة بهاء طاهر في شرق النخيل ممزوجة بالطبيعة ومتفاعلة معها، فضلا عن شعرية تلك اللغة، فسعف النخيل يتحول إلى مرايا صغيرة في أشعة الشمس " ورأيت السماء وتحتها أطراف سعف النخيل تلمع في الشمس كالمرايا الصغيرة"[xcviii].

وحينما يصاب الراوي بضعف الرؤية، فلا يرى إلا ضبابا، هذا الضباب سرعان ما يزول " ضربات القلب السريعة تهدأ والضباب الذي على عيني يزول، لن أموت"[xcix].

وتتضافر اللغة مع أمنية الراوي في أن تكون حياة البشر وموتهم مثل الزروع تنبت جميعا في وقت واحد، وتموت جميعا في وقت واحد" لو أن الناس كالزرع ينبتون معا ويحصدون معا فلا يحزن أحد على أحد ولا يبك أحد على من يحب، لو يحصد زرعا لبشر الذي ينبت معا كله في

وقت واحد، ثم يأتي نبت جديد يخضر ويكبر، لا يذكر شيئا عما سبقه ولا يفكر فيما سيجيء... فلا يكون الشقاء"[c].

وتتمثل اللغة الشعرية البيئية في شرق النخيل في ضوء القمر الهادئ الذي يرسل نوره في السماء مثل الدخان "كانت الليلة حارة وساكنة والقمر المستدير ينشر نوره في السماء كسحابة دخان تتناثر على البعد منها نجوم تومض بارتعاشات قلقة"[ci].

فالإنسان بطبعة يلتحم بالزروع فهو يعرفها وهي تعرفه "الأرض أزرعها وأعرفها من يوم أن مات أبي ومن قبل أن يموت، أرضي وقد نزل عرقي في كل شبر منها وقلبته يدي....وقال لي أتعرف كانت هذه الأرض كلها رملا وحسكا وزرعتها بيدي شجرة شجرة، الآن يريدون أن يأخذوا أرض الحديقة وتريدني أن أسكت؟"[cii].

تعد الكلمات مثل (مات، من قبل، الآن) علامات زمنية تربط الأحداث في تسلسل، ويعرض تسلسل الأحداث أن الإنسان آخر الكائنات الحية تطورا.

وحينما تسوء أحوال البشر وتجمد قلوبهم، ولا يشعر أحدهم بالآخر، ولا يوقر الشباب الشيوخ، يرجعهم بهاء طاهر إلى أقل مستويات الوجود وهو الجماد "...وبعد كل كلمة كان يمسح شفته بلسانه كأنه ينتزع الكلام من لحمه الحي، مع ذلك قال له مش شغلي، ناس حجر،....أشرب الزفت كلنا حجر... [ciii].

وعندما أراد الراوي أن يعبر عن حزنه ويأسه، اختار لغة بيئية تقع في نفس القارئ، فتصيبه ما أصاب الراوي من الكآبة والحزن "... نزلت حتى حافة الطين لأمشي في النهر الأسود حتى الموت.... رأيت أعمدة المعبد القديم ... كانت تشبه نخيلا بلا سعف، كانت حزينة... عينا فضية كبيرة تتطلع للخراب"[civ].

وأفضل ماض للإنسان هو الماضي الأخضر الذي يرسخ في الذاكرة فيبعث الأمل والاستشراق، "إذا كانت رؤية الشخص لماضيه وخبراته رؤية مغتبطة يختلط فيها الإحساس بالإنجاز والنشوة، فإنه ينظر لحياته على أنها جديرة بالبقاء والاستمرار"[cv]، فالعم تنفعل جوارحه حينما يتذكر الماضي الأخضر" تلمع عيناه عميقتا السواد وهو يحكي عن النخل والسماد والجبل والجمال في صوت منغم بالخشوع والحب"[cvi].

تتسابق السحب في السماء لتبتلع القمر "... تطلعت للسماء فرأيت سحبا سريعة داكنة تتدافع لتبتلع قمرا هلاليا وليدا، تابعتها وهي تغزل نحوه خيوطها الشفافة البيضاء إلى أن اختنق وركد ثم أقبلت السحب الدخانية السوداء على عجل فابتلعته واختفى"[cvii].

"الجسر المرصوف الذي ترقد تحته الحقول"[cviii]، تلك اللغة الشعرية التي اختارها بهاء طاهر؛ لترسم لوحة فنية مفعمة بالاخضرار والحيوية.

تعبيرات البيئة الخضراء: والمقصود بها الألفاظ الدالة على البيئة الخضراء، فالروائي حينما ينشئ نصا روائيا أو قصصيا لابد أن يختار ألفاظا أو إشارات نابعة من البيئة التي ينقلها للمتلقي ومعبرة عن ثقافتها، "وإلا حدث انفصام بين الطرفين حينما يكون المنشئ بعيدا عن واقع وبيئة وثقافة هذا المتلقي"[cix].

وفي شرق النخيل نجد تعبيرات البيئة الخضراء تنتشر بين ثناياها مثل (شرق النخيل[cx]– وأنا أسير في الشمس– سوف تبعث لي برداء من الصوف– جلست على الحشائش – تلمع تحت الشمس – أحواض الزهور عن يميني تموت – علاها الصدأ وتقوست في وسطها حتى لامست الأرض – خلف المكتبة وتحت النخلة– ألقت بالكتب على الحشائش – احتل اليهود سيناء من حوالي– انتزعت قبضة من الحشائش– لم هذه الأزهار ميتة.. ألا يسقونها – راحت تنفض عن ثوبها الحشائش الجافة – فتمددت على الحشائش وتحتها سعف النخيل تلمع في الشمس كالمرايا الصغيرة– كانت الليلة حارة ساكنة والقمر مستدير ينشر نوره في السماء على البعد منها نجوم تومض بارتعاشات قلقة – والكلب ينبح نباحا شديدا خارج البيت – عاد الصمت ولم يبق غير القمر المعلق فوق رأسي– لو أن الناس كالزرع – جرت نحو السور – عندما فتحت عيني كان جزء من الشمس يطل عليّ من بين سعف النخيل – فركت النملة الصغيرة بين أصابعي[cxi]– في الطريق إلى البيت قبل أن أعبر الكوبري – وكان البيت معتما حارا – فدخلت إلى غرفتي وفتحت النافذة – جلست على كرسي في الصالة ووضعت حقيبتها على المائدة – لأنه يخرج طول النهار وأنا أخرج الليل[cxii]– كنا على الجسر قرب الغروب– وأسفل الطريق على الجانبين الزرع الصيفي الأخضر الجديد – تركبان حمارا صغيرا – لم نقع في الزرع ولا في الطين ولا في الترعة الصغيرة أسفل الجسر– وظلت ترعانا وتدهن بالزيت– وإنني سأهرب من البلد قبل الفجر –

وجدونا نائمين في الحديقة – وبدا وجهها المستدير أنضر بعد أن زالت المساحيق والأصباغ–ينام في سريره حتى الصبح – كنت آتية من شبرا قبل أن نصل إلى ميدان التحرير[cxiii]– الضباب الذي عيني يزول– استفهمت من جدرانه من ساحته الخارجية المكشوفة التي تحف بها لتحددها قطع صغيرة من الحجارة البيضاء– شاطئ النيل قرب المدينة – نزلت حتى حافة الطين لأمشي في النهر الأسود– رأيت المعبد القديم على الشط المقابل في ضوء القمر– كانت تشبه نخيلا بلا سعف– وكان القمر فوقها– عينا فضية كبيرة تتطلع للخراب والحياة في هدوء وصمت– خذني إلى الحديقة– الأرض في شرقها حتى الجبل– جلس على الأرض وانتزع قبضة من طينها فتته بين أصابعه– كانت هذه الأرض كلها رملا وحسكا وزرعتها بيدي شجرة شجرة– أليست أرضنا– لقد بدأوا اليوم بأرضي وسيجورون غدا على أرضك– فانزلق فراء الخروف من الدكة على الأرض– أرض الحديقة كانت أول أرض أصلحها جدك– هل تعرف أن أباك الذي يحفظ كلام الله يقرض الناس بالربا– ويلوح بعصاه الرفيعة ويضربها في الأرض– غمز عمي الحصان في جنبه[cxiv]).

ومن ذلك يتضح أن لغة شرق النخيل تنتمي إلى البيئة الطبيعية الخضراء، وهي بيئة لها لغتها التعبيرية الخاصة، فقد استطاع الكاتب أن يوفق في استخدام اللغة البيئية، فعن طريقها صور شخصيات قصته ووصف سلوكياتهم تجاه عناصر البيئة المختلفة؛ لذلك تعد اللغة البيئية أداة مهمة في شرق النخيل، والتي ترفعها إلى مرتبة عالية من الجودة الفنية.

ومن السمات اللغوية في شرق النخيل ظاهرة التكرار، التي تعد سمة من سمات الطبيعة، فضلا عن كونها أداة من أدوات تشكيل البنية الإيقاعية الداخلية للقصة، فتكرار الجملة أو الكلمة أو الحرف يشابه تكرار الطبيعة لعناصرها المختلفة، مثل تكرار أوراق الغصن الواحد، أو كتكرار الجنس الحيواني أو الإنساني... إلخ، كذلك يساعد العنصر المكرر في الوصول إلى أغوار النص الأدبي، والكشف عن أفق الأديب ورويته.

وعند تدقيق النظر في شرق النخيل نجد ثلاثة أنواع من التكرار هي:

1–**تكرار الكلمات (التكرار اللفظي):** وهو يعتمد على تكرار لفظة معينة؛ ليعطي عمقا في الدلالة التي يريد الكاتب أن يوصلها للمتلقي، ومن مظاهر هذا النوع من التكرار، تكرار لفظة

(الحشائش) في كثير من صفحات القصة، كأن يقول "وجلست على الحشائش الرطبة...ألقت بالكتب على الحشائش ثم جلست بجواري... "[cxv]، فقد تكررت هذه اللفظة على مدار القصة[cxvi]؛ ليبرز العنصر البيئي الأخضر في القصة، ومدى استغلال الإنسان له استغلالا سيئا.

وكذلك تكرار لفظة (الزهور) مع لفظة (ميتة)؛ ليبين النتيجة التي أسفرت عليها سلوكيات العنصر البشري تجاه البيئة " رحت أنظر إلى أحواض الزهور عن يميني حيث تموت زهور حمراء وزرقاء باهتة "[cxvii]، وتكررت هذه اللفظة كذلك على مدار القصة[cxviii]، ودلالة هذا التكرار هو إبراز ما آلت إليه الطبيعة جراء اتصال البشر بها اتصالا سيئا.

2-**تكرار العبارة:** يعد تكرار الجمل من أشكال التكرار القليلة في شرق النخيل، فقد جاء مرة واحدة ليقرر حقيقة سرمدية، وهي أن الغلبة دائما للطبيعة، فلطالما اعتدى عليها الإنسان وهي تنتظر، ولكن حينما يأتي رد فعلها، يكون عنيفا، " لو أننا نموت جميعا أنا وأنت وكل من نحب، كلنا معا، في وقت واحد حتى لا يحزن أحد على أحد ولا يبك أحد على أحد، لو أن الناس كالزرع"[cxix].

وقد تكررت جملة (لو أن الناس كالزرع) في المقطع التالي "" لو أن الناس كالزرع ينبتون معا ويحصدون معا "[cxx]، في هذه اللحظة يتمنى الإنسان أن يكون مثل النبات لا يشقى أحد بموت أحد، هذا الحزن نابع من فساد الإنسان وتعديه على الطبيعة، هذا التعدي متمثل في الاستغلال السيئ أو أنه يعمد إلى الصالح فيفسده.

3-**تكرار المقاطع:** وهذا النوع قليل أيضا، فقد تكرر مقطع الجنود المتلفين حول العربات السود "ففي الطريق إلى البيت رأيت قبل أن أعبر كوبري الجامعة جنودا ملتفين حول عربة سوداء بداخلها ضابط ولها إريال، وتكررت الصورة نفسها عند طرف الكوبري الآخر وأمام كلية الطب، ودخلنا شارعنا الصغير في المنيرة رأيت ثلاث عربات للأمن المركزي ممتلئة بجنود"[cxxi].

وقد تكرر هذا المقطع "وقبل أن نصل إلى ميدان التحرير عند الأنتكخانة وقف الترام وكانت تقف أمامه عربات ترام كثيرة، ورأيت عند سور الأنتكخانة كثيرا من العساكر بملابسهم السوداء "[cxxii]،

تكرار هذا المقطع يؤكد أن إفساد الإنسان لم يقتصر على الطبيعة، بل امتد هذا الإفساد والإيذاء لأخيه الإنسان بترهيبه، بل وتجاوز إلى الإيذاء البدني بالضرب كما يظهر في المقاطع السابقة.

ومما سبق يتضح أن بهاء طاهر استخدم التكرار لبناء قصة شرق النخيل، وإن لم يعول عليه كثيرا، ومع ذلك أجاد في استخدامه، فمن خلاله استطاع القارئ أن يصل إلى ما يدور في ذهن الشخصيات من أفكار، ومن خلاله يكتشف ما يكمن في انفعالاتهم الوجدانية وما يعتمل في نفوسهم من صراع أو أفكار أو مشاعر.

ومما لا شك فيه أن الهدف من التكرار هو التأكيد على المساواة بين البشر وعناصر الطبيعة، فجميعهم يشارك في الحياة نفسها، فاللغة هي المادة الأولية التي تشكل جميع مكونات الرواية؛ فمن خلالها تُقَدّم الشخصيات بكل ما تحمله من ميزات وصفات داخلية وخارجية، وبها تتابع الأحداث، وتتضح ملامح المكان وتتجلى بواسطته القرائن الدالة على الزمان، "فاللغة في الرواية وسيط يقوم بتثبيت مفردات الدلالة وبناء هيكل المعنى الكلي للنص وتنظيم عمليات التصوير والرمز "[cxxiii].

ومن مظاهر التشكيل اللغوي في شرق النخيل ما يلي:

1– سمة لغة التشاؤم: فبهاء طاهر يستغل قدراته لإسماع أصوات البيئة الخضراء الذابلة التي تشكو من سلوك الشخصيات، فبشكل فني يعبر عما يجيش في نفوس البيئة الخضراء الذابلة ولا تستطيع أن تبوح به، " رحت أنظر إلى أحواض الزهور عن يميني حيث تموت زهور حمراء وزرقاء باهتة تحيط بها أسلاك شائكة علاها الصدأ وتقوست في وسطها حتى لامست الأرض"[cxxiv]، حينما تُسجن الزهور (الحمراء– الزرقاء) بأسلاك متقوسة يعلوها الصدأ، لابد أن يكون مصيرها الموت، فهذا قمة التشاؤم، فضلا عن الألفاظ التي اختارها الكاتب (تموت زهور– أسلاك شائكة – الصدأ – تقوست – لامست الأرض) فظاهرة التشاؤم اكتسحت جل الرواية.

ويحاول الكاتب نقل صورة قاتمة أكثر تشاؤمية عن عناصر البيئة الخضراء "كانت الشمس تملأ صحن البيت وقد انزوى الجميع في بقعة الظل الصغيرة خلف المدخل، أمي وفريدة وفاطمة بثيابهن السوداء والكلب الأبيض المترب "[cxxv]، فقد استخدم الكاتب ألفاظا أكثر قتامة مع

عناصر البيئة الخضراء؛ ليعبر عن النتيجة التي تصل إليها البيئة نتيجة تصرفات الإنسان نحوها، ومن هذه الألفاظ (انزوى – بقعة الظل الصغيرة – بثيابهن السوداء – الكلب المترب).

2- لغة الحرمان: يكشف الخطاب الروائي البيئي عن الشعور بالظلم والتهميش للبيئة الخضراء بكل عناصرها (الزروع – الأرض – الحيوان – الإنسان)، وذلك عندما تُحرم من رعاية الإنسان لها، فتجد هذه العناصر نفسها مستغَلة من قبل الإنسان دون أن يفكر في تنمية مستديمة لها، "انتزعت قبضة من الحشائش وقلت..." [cxxvi].

فـ الحشائش تعاني من سوء معاملة الراوي لها، فالراوي –الإنسان– يصب غضبه عليها دون أدنى ذنب من الحشائش–البيئة– من هنا يأتي شعور البيئة الخضراء بالظلم والتهميش بسبب تصرفات الإنسان تجاهها، فيكرر الكاتب صورة انتزاع الحشائش من الأرض نتيجة غضب الشخصيات؛ ليرسخ فكرة شعور البيئة الخضراء بحرمانها من رعاية الإنسان لها، وتعديه عليها بالتخريب، "وراحت هي أيضا تنتزع قبضة من الحشائش"[cxxvii]، ومن براعة بهاء طاهر أنه يستخدم صيغة المبالغة (تنتزع) ليوحي بإصرار الإنسان على التعدي على الأخضر؛ وليوحي بمدى إصرار البيئة الخضراء على تمسكها بالحياة، لخدمة ذلك الإنسان المستعلي عليها، هذه الصورة تنقل للمتلقي مدى حرمان هذه البيئة من رعاية الإنسان لها، فهو لا يترك الصالح على صلاحه، بل يتعدى عليه بإفساده.

ثم يقرر الكاتب أحد مظاهر الحرمان البيئي باستخدام الاستفهام التعجبي الاستنكاري، "لم هذه الأزهار ميتة؟ لماذا هي ميتة دائما؟ ألا يسقونها؟ وما هذه الدموع؟"[cxxviii]، فالأزهار محرومة من رعاية الإنسان، فهو لا يسقيها، فيستخدم الكاتب ضمير الشأن (لماذا هي دائما؟) مع الاستفهام ليجعلها حقيقة مؤكدة، ليصور مدى تهميش الإنسان للبيئة.

تكمن قوة لغة شرق النخيل في أنها تختصر عملية مجردة تحدث منذ وقت طويل، وتجعلها مفعمة بالحيوية من خلال السماح للمستمعين بالانغماس في الأحداث خياليا، والتعاطف مع فصيلة بأكملها "يعد التنوع البيولوجي، والكائنات المهددة بالفناء، والانقراض قضايا ثقافية بالأساس، وتطرح تساؤلًا عما نقدره وعما نحكيه من قصص"[cxxix].

ثانيا: التناص

عند تدقيق النظر في قصة شرق النخيل نجدها تتناص مع القرآن الكريم، هذا التناص يقوم بدور أخلاقي في القصة، حيث يدعو الناس إلى رحمة بعضهم بعضا، وألا يستلذ أحدهم بكسر خواطر بعض، فهي دعوة صريحة منه نحو بيئة معنوية خضراء "...ناس حجر،... كلنا حجر... كل الناس حجر..."[cxxx].

تتناص الفقرة السابقة مع النص القرآني[ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾](البقرة74)

ومن ناحية أخرى نجد النص التالي " جدك يا ولدي كانت يده مباركة "[cxxxi]، يتناص مع قوله تعالى [يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ] (النور 35)، وفي هذا التناص إشارة واضحة نحو الامتزاج بالبيئة، فالإنسان الذي ينسجم مع البيئة تنسجم البيئة معه، بل وتكسبه صفة من صفاتها، وتجود عليه بخيراتها، فجد الراوي يحب الزرع ويعتني به، فأحبه الزرع، وأعطاه من المحصول أضعاف، فأكسبه الزرع صفة البركة، فهي دعوة صريحة من بهاء طاهر نحو بيئة مادية خضراء نظيفة.

سمعت عنه كفارس حين حل السيل الكبير بالبلد ليلا وأغرقها وهرب من استطاع إلى الجبل، خاض هو بحصانه في الماء وراح ينتشل النساء والأطفال"[cxxxii]في الفقرة السابقة تناص ديني مع قصة نبي الله نوح –عليه السلام– حينما سخر منه قومه وهو يصنع السفينة (سخر الناس من الجد وهو يصلح الأرض)، ولكن نبي الله نوح كان منسجما مع الطبيعة غير مبال بسخرية قومه (والجد يحمل التراب الأحمر على حصانه ويغمر به الأرض، فاقترح عليه الحاج صادق ليستأجر الأرض ويوفر جهده هذا) وحينما جاء الطوفان لجأ قوم نبي الله نوح إلى سفينته (وحينما اخضرت الأرض وصارت حديقة طمع فيها أولاد الحاج صادق ومن قبلهم الحاج صادق نفسه والناس جميعا أصابتهم الدهشة والعجب)ومن احتمى بالجبل غرق (وحينما جاء السيل الكبير خاض الجد بحصانه الماء وراح ينتشل النساء والأطفال)، ويحكي العم عن كرم أبيه وأن مضافته مفتوحة لكل طارق، كذلك كانت سفينة نبي الله نوح –عليه السلام– مفتوحة لكل من لجأ إليها.

ثالثا: الشخصية البيئية وغير البيئية

ونقصد بالشخصية البيئية: الشخصيات التي تندمج مع البيئة اندماجا إيجابيا، بحيث تحافظ عليها، وتبحث باستمرار عن الطرق التي تساعد على استدامتها، وعند النظر في قصة شرق النخيل نجدها تزخر بالشخصيات البيئية مثل الراوي وعمه وحسين وفريدة ومنيرة وليلى وسوزي وعصام الشاب الفلسطيني وأم الراوي وسمير.

أما الشخصيات غير البيئية فتتمثل في والد الراوي، وأولاد الحاج صادق، ومدبولي.

الراوي

تظهر شخصية الراوي البيئية في حبه للبيئة الريفية وتعلقه بها حتى وهو في المدينة، فنجده دائما وهو داخل الحرم الجامعي يجلس تحت جذع النخلة، هذه النخلة تذكره بالنخلة في حديقة عمه التي اعتاد أن يجلس تحتها هو وابن عمه حسين " كنت أعلم أني سأجدك هنا خلف المكتبة وتحت النخلة"[(cxxxiii)]، بل لا يدخل المدرج ليجلس على الحشائش الرطبة " وجلست على الحشائش الرطبة وراء المكتبة وأمامي قبة الجامعة"[(cxxxiv)]، وهناك كثير ما يدل على بيئية الراوي الخضراء لا نود أن نذكرها مرة أخرى حتى لا نقع تحت وطأة التكرار.

ليلى

وتتجلى بيئية هذه الشخصية في ثورتها حينما وقعت عيناها على الزهور الميتة " وقالت بسرعة وعصبية – لم هذه الأزهار ميتة؟ لماذا هي ميتة دائما؟ ألا يسقونها أبدا؟ "[(cxxxv)].

فريدة

وتظهر بيئية فريدة من خلال تماهيها تجاه النباتات وتمنيها لو يعيش الإنسان مثلهم، وأن نموت جميعا في الوقت نفسه حتى لا يحزن أحد على فراق أحد " لو أننا نموت جميعا أنا وأنت وكل من نحب، كلنا معا، في وقت واحد حتى لا يحزن أحد على أحد ولا يبك أحد على أحد، لو أن الناس كالزرع"[(cxxxvi)].

منيرة

تتمثل بيئية منيرة الخضراء في حسن تعاملها مع الحيوانات فهي تضرب الحمار ضربات هينة ليسرع في خطواته " التي أمسكت بالعصا وراحت تتعجل الحمار بضربات سريعة هينة على رقبته "[cxxxvii].

جد الراوي

وهو أكثر مثال ركز عليه بهاء طاهر ليبرز من خلاله الشخصية الخضراء، هذا الجد يصلح الأرض البور ويجعلها صالحة للزراعة "وهل تعرف كيف أصلح جدك الأرض؟ لم يزد ميراثه كله عن نخلات الشرق وأرض رملية هناك لا تصلح للزرع، وبدأ جدك يذهب وراء الجبل، ثم يعود وقد حمل حصانه ترابا أحمر يغمر به الأرض... لكنه يعود وحصانه محمل بالسماد الذي اكتشفه في الجبل والذي لم يعرف أحد طريقه بعده"[cxxxviii]، وهناك كثير من مواقف الجد البيئية ذكرناها سابقا فلا داع لتكرارها.

عم الراوي

يجعل بهاء طاهر عم الراوي شبيها بأبيه، فعم الراوي يحافظ على الأرض ويزرعها ويعرف كل شبر فيها، بل ويموت في سبيل الحفاظ على أرضه.

حسين

ويجعل الكاتب حب البيئة ينتقل من العم إلى ابنه، فحسين يزرع الأرض، ويحافظ عليها ويموت أيضا في سبيل أن تبقى الأرض كما ذكرنا سابقا.

سوزي

تتمثل بيئة سوزي الخضراء في رفضها قسوة تعامل الضابط مع الشيخ العجوز، فتثور عليه، وعلى كل قاس وتصفه بالحجر "ناس حجر،... أشرب الزفت كلنا حجر" [cxxxix].

عصام

وهو شاب فلسطيني جاء إلى مصر ليتعلم، فيلتقي به الراوي في السكن، فيروي الشاب قصة كفاح أهله وكيف قام اليهود بسلب أراضيهم بالغصب، وفي النهاية يعود الشاب إلى وطنه ويموت في سبيل الحفاظ على أرضه.

أم الراوي

تتمثل بيئتها الخضراء في رفضها ما يجلبه زوجها من أموال عن طريق الربا، وتشجيعها لابنها لمساعدة عمه في حقن الدماء.

سمير

وتتجلى بيئة سمير الخضراء في رغبته في إقامة دولة تحقق الديمقراطية من منظوره.

أما الشخصيات غير البيئية فتتمثل في **والد الراوي** الذي يرفض مساعدة أخيه، فيترتب على ذلك تجرأ أولاد الحاج صادق على أخيه، فيقتلوا أخاه وابنه حسين، فوالد الراوي موقفه هنا سلبي، فلا يترك الصالح من البيئة على صلاحه، بل يعمد إليه ويفسده، فيعمل بالربا بإقراض أولاد الحاج صادق في مقابل رهن أراضيهم، ومع ذلك حين يطلب أخوه مساعدته؛ لأن معظم أراضي أولاد الحاج صادق مرهونة عنده يرفض بحجة أن الأرض ليس لها قيمة وتجنبا للمشاكل.

أما **مدبولي** يعد من الشخصيات التي تتعامل مع البيئة بسلبية من خلال إفسادها، فهو يعمل في تهريب العملات والأثار، وبذلك يكون مدبولي مفسدًا للبيئة، فهو يقف عائقا نحو تنميتها.

رابعا: جماليات المكان

المكان عنصر مهم في تشكيل وجدان الشخصيات على نحو معين والتي تبرز هوية العمل الأدبي، وتكمن أهميته أيضا في ارتباطه الوثيق بالزمن، فلا رواية دون مكان "فالمكان هو العمود الفقري الذي يربط أجزاء النص الروائي ببعضها بعضا، وهو يسم الأشخاص والأحداث الروائية في العميق"[cxl].

المكان يصبغ البشر بالصبغة التي تغلب عليه، فيؤثر فيهم ويتأثر بهم، فالمكان في النقد البيئي ليس حيزا جامدا، بل يمتلئ بالروح والحيوية، يهتم النقد البيئي بالمكان الأخضر، فضلا عن مدى أثر هذا المكان على الشخصيات، ومدى تأثر الشخصيات به، وما قاموا به من أفعال تسهم في استدامة البيئة الخضراء، وهذا ما نلاحظه في قصة شرق النخيل، فالحديقة التي ورثها عم الراوي عن أبيه كانت عبارة عن أرض عفيرة لا تصلح للزرع، لكن جد الراوي أخذ يحمل التراب الأحمر من خلف الجبل، ثم يعود ليغمر به الأرض، وظل يفعل هذا إلى أن امتلأت الأرض بالتراب الأحمر، ثم أخذ يزرعها، وصحت الأرض وصح الزرع، حتى أصبحت حديقة تسر الناظرين

وتثير حسد الطامحين، فنشأت علاقة بين الجد والحديقة، الجد تعلق بالحديقة مما جعله يعدها كأحد من أبنائه، لذلك حينما استأجر الحاج صادق أحد الرجال ليحرق له الزرع، خاف الرجل واعترف للجد بما حدث؛ لأنه كان يعلم مدى تعلق الجد بالحديقة، وأن الجد لن يتركه ولو كان في باطن الأرض، بل وتنفعل الحديقة للجد، فتجود عليه بالخير الوفير، حتى أنه ابتاع جرارا، فأصبحت أرضه تزرع ثلاثة مواسم بدلا من موسم واحد، وبعد رحيل الجد ينتقل هذا التفاعل(تأثر البيئة بالشخص، وتأثر الشخص بالبيئة) إلى ابن الجد (عم الراوي)، فمثلا تأثر الحديقة بعم الراوي نجد حينما يفتح حسين باب الحديقة "...وواجهتني في المدخل شجرة الموز بأوراقها العريضة الخضراء...كذراعين يتأهبان للاحتضان "[cxli]، بل ويتغلغل تأثر العم بالحديقة حتى أنه ليغار عليها، فيتوعد لو مد أحد من أولاد الحاج صادق يده على شجرة فسيقطع يده " وأبي يقول لو مد أحد يده لفرع شجرة فسيقطع يده...الأرض حق أبي وأبي لا يفرط في حقه"[cxlii].

ثم ينتقل الكاتب إلى حدث أكبر من ذلك ليبين مدى تأثر العم وابنه حسين بالحديقة، حتى أنهما لينفقا عمرهما ثمن الحفاظ على الحديقة " وانكفأ الابن يحضن الأب .. والدم يجري مع الدم، رجع دم الابن إلى أبيه ورجعا معا لتراب الأرض "[cxliii].

ويتضح أيضا تعلق العم بالبيئة حينما تنفعل ذرات جسمه حينما يتحدث عن السماد والأرض والجبل فتدمع عيناه " وحين يروي عمي عن أبيه تلمع عيناه عميقتا السواد وهو يحكي عن النخل والسماد والجبل والجمال في صوت منغم بالخشوع والحب"[cxliv].

وحينما يحدد الكاتب أبعاد مكان في القصة، فإنه يرسم لوحة فنية خضراء مفعمة بالروح، لوحة تستأنس إليه النفس، ويتضح هذا في عنوان القصة وهو مكان طبيعي (شرق النخيل) ليعبر عن البيئة الخضراء داخل عناصر القصة، بل ويبدا الكاتب القصة بمكان طبيعي "وأنا أسير في الشمس"[cxlv]، وبهذا يجعل أبعاد المكان كلها طبيعية مرتبطة بالبيئة، وعلى سبيل المثال لا الحصر "أحواض الزهور عن يميني"[cxlvi]، "خلف المكتبة تحت النخلة"[cxlvii]، "يطل علي من بين سعف النخيل"[cxlviii]، "كنا على الجسر قرب الغروب...وأسفل الطريق على الجانبين الزرع الصيفي الأخضر الجديد"[cxlix]، "استفهمت من الخلاء ومن بقعة الأرض..." [cl]، "شاطئ النيل قرب المدينة حتى حافة الطين لأمشي في النهر الأسود..." [cli]، "وأخذني من يدي لأرض

الشرق"[cliii]، "مشينا على الجسر المرصوف الذي ترقد تحته الحقول..."[cliii]، "عبرنا النخل زبدا من بعيد السور الرمادي"[cliv] "وواجهتني في المدخل شجرة الموز...تحت كرمة العنب الخشبية"[clv]، أبعاد المكان الخضراء في شرق النخيل دعوة صريحة من بهاء طاهر للاتجاه نحو الطبيعة الخضراء من خلال البحث عن وسائل لتنميتها، فيستعرض الكاتب البيئة الخضراء التي تجر معها الذكريات الإيجابية التي تدفع الشخصيات للأمام لاتخاذ خطوات إيجابية فعالة؛ لإيجاد حلول للمشكلات التي تواجه العم مع أولاد الحاج صادق "خرجنا من بيت عمي الذي كان في طرف القرية ومشينا على الجسر المرصوف الذي ترقد تحته الحقول، وقبل بيتنا من ناحية القرية تنتهي الحقول ويصبح الجسر طريقا مرصوفا وسط الرمال...تغوص أقدامنا في كثبان الرمال المتدرجة الارتفاع التي تنبت فيها صبارات قصيرة أوراقها صلبة وتنبثق وسطها على مسافات متباعدة حشائش طويلة خشنة ومفاجئة تشبه المراوح... صعدنا الكثبان فبدت قمم النخيل والسعف الأخضر المتعانق، وكلما ارتفعنا أخذت الأطراف العليا للجذوع السامقة السمراء تستطيل في اتجاه الأرض إلى أن تنبسط الأرض أمام عيوننا فجأة فتبدو غاية النخيل وكأن جذوعها تميل على بعض وتتقاطع مع بعض ويرسم سعفها في الأفق أقواسها خضراء متشققة ومتعاقبة تتوهج أطرافها المذهبة بنور الشمس، وكلما اقتربنا من غابة النخيل بدأت أشجارها المتفرقة تتضح وتتميز، لم تعد تتقاطع وتتشابك "[clvi].

الخاتمة

من خلال العرض السابق يتضح ما يلي:

-اهتم بهاء طاهر في شرق النخيل بالبيئة الخضراء، حيث استأثرت أماكن بعينها مثل حديقة عم الراوي في الريف، وحديقة الجامعة في المدينة بالحظ الأوفر والاهتمام الأكبر في القصة، حيث برزت الحديقة كمحور أساسي، من خلال بيان أبعادها المعمارية، ومدى تأثيرها وتأثرها بشخوص القصة، فبالبيئة الخضراء (الحديقة) طورت بنية السرد الحكائي للقصة، فاكتسبت البيئة الخضراء (الحديقة) أهمية خاصة؛ وذلك من خلال شعور شخوص القصة بالألفة نحوها.

-أطرى الكاتب المكان الأخضر في القصة بإطار جغرافي للوقائع، فاهتم بهاء طاهر بإبراز هذا الحيز المكاني عبر أحداث القصة؛ ليساند في إبراز فكرته باعتبارها جزءا من الشخصية وبنيتها،

لذلك ليس غريبا أن نجد المكان بجمالياته وثيق الصلة بالأشخاص، فركز الكاتب على علاقة الشخصية بالمكان الأخضر.

-تعددت صور البيئة الخضراء في شرق النخيل مثل الزروع، والحيوانات، والإنسان، والأرض، فاختار الكاتب هذه الصور ليشكل بها عالم القصة الخاص، محملا بدلالات مختلفة، لتظهر أحداث القصة من خلال هذه الصور كواقع حقيقي، وعلى مستوى البناء السردي لحركة الشخصيات في حيز المكان الأخضر الذي اختاره الكاتب، وطريقة تفاعل الشخصيات مع البيئة الخضراء المحيطة بها، فعناصر البيئة الخضراء لها دلالات ثقافية، لها قوانينها المعرفية، يظهر وجودها وفعلها من خلال إمكانية بهاء طاهر وقدرته الفنية على التفاعل الحي بين العناصر الفنية.

-جاءت الدلالة الإيجابية لصالح البيئة الخضراء في أغلب القصة وفي خطابها من خلال تجسيد علاقة الشخصيات بعناصر البيئة الخضراء في مشاهد القصة سواء أكان ذلك في العناصر البيئية الخضراء الرئيسة أم الفرعية، ووظائف البيئة الخضراء من خلال تعدد مقاصدها واختلاف جمالياتها، وكذلك عبر مظاهر استعمال اللغة في تشكيل البيئة الخضراء.

-أسهم تنوع عناصر البيئة الخضراء داخل شرق النخيل في إعطائها بعدًا جماليا؛ لحضور الأخضر فيها.

-تفاوت حضور عناصر البيئة الخضراء والدلالات المتنوعة لها أبرز قيم ثقافية وحضارية في القصة.

-زخرت قصة شرق النخيل بالشخصيات البيئية وغير البيئة؛ وذلك بهدف تحقيق وظيفة أخلاقية نحو العناية بالبيئة، وإلغاء الفوقية البشرية.

-ارتبطت عناصر البيئة الخضراء في شرق النخيل بالحالة النفسية للشخصيات والعلاقات الإنسانية الاجتماعية، ومدى تفاعلها معها، فارتبط ظهورها إما بالأمان والحب والانتماء أو ضجر الشخصية وانتقادها للبيئة المجتمعية.

-تؤدي الشخصيات دورا مهما في التفاعل مع عناصر البيئة الخضراء، بل واختراقها وخلق هوية خاصة بها، فهي تجتمع مكونة قيمة جمالية لها، وكذلك تخدم الأفكار التي قامت عليها القصة،

وأسهمت العلاقة بينهما في تمثيل موقف رفض السلطة المجتمعية التي تقوم على استغلال البيئة استغلالا سيئا بمبدأ تفوق البشر على الطبيعة.

-تميزت لغة شرق النخيل بالشعرية في التعبير عن البيئة الخضراء؛ لذلك جاء معجمها حاملا لألفاظ البيئة الخضراء.

-ترتبط البيئة الخضراء بالدرجة الأولى بنظرة الشخصيات وشعورهم نحوها، وما تحمله من أفكار عنها، وكذلك تقلبات الشخصية النفسية، وما تتعرض له من صراعات تسهم في رسم البيئة الخضراء بنوع من الوضوح والغموض، والإيجاب والسلب، والازدهار والأفول، فالبيئة الخضراء تظهر متأثرة بالعوامل النفسية والحضارية بالدرجة الأولى.

-تهدف قصة شرق النخيل إلى التحضر للأخضر؛ وذلك من خلال بث ثقافة المحافظة على الأرض، وإصلاحها، وتهيئتها للزراعة، بل واستمرار البحث عن طرق لتنميتها ولمحافظة عليها.

-ما نحتاجه هو أن نتوقف عن تلويث البيئة وتسميم الجسد والروح البشرية، وأن ننفق مواردنا المادية والروحية في البحث عن ترياق للتلوث والسم الذي نتسبب فيه، ما نحتاجه هو الاقتصاد البيئي والسياسة البيئية التي تساعدنا على استعادة الحياة البيئية الخضراء والأدب البيئي.

الهوامش

i – فاطمة الشيدي: المعنى خارج النص، أثر السياقات في تحديد دلالات الخطاب، دار نينوى، دمشق، 2011، ص88.

ii – د.حفناوي بعلي: مدخل إلى نظرية النقد المقارن المنطلقات المرجعيات المنهجيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2007، ص27.

iii – يذهب بعض الدارسين للفكر البيئي إلى أنه أصبح موضوعا علميا بفضل الفيلسوف وعالم البيولوجيا الألماني إرنست هاكل Ernst Haeckel (1834 – 1919)، يعد هاكل تطوريا؛ ولذلك فقد نشر نظرية شارل داروين Charles Darwin في ألمانيا، وبحث كثيرا في أصل الإنسان، ولذلك استعمل كلمة إيكولوجيا كموضوع علم جديد يبحث في علاقة الإنسان بمحيطه.

iv – مجموعة من المؤلفين: النقد البيئي مقدمات مقاربات تطبيقات، ترجمة نجاح الجبيلي، دار شهريار، العراق، ط1، 2020، ص 323.

v – جيليكا توشيتش: النقد البيئي دراسة بيئية في الأدب والبيئة، ترجمة سناء عبدالعزيز، مجلة فصول "النقد الأدبي وتداخل الاختصاصات"، المجلد 26/ 2 ، العدد 102، شتاء2018م، ص331.

vi – Rachel Carson: Silent Spring, A Crest Reprint Fawcett Publications, Inc., Greenwich, Conn. Member Of American Book Publishers Council, Inc, p21

vii – جريج جيرارد: النقد البيئوي، ترجمة عزيز صبحي جابر، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، ط1، 2009، ص11.

viii – ديفيد كارتر: النظرية الدبية، ترجمة باسل المسالمة، دار التكوين للتأليف والنشر، سوريا، 2010، ص154.

ix – مايكل برانش :النقد الإيكلوجي، ترجمة معين رومية، نوافذ، النادي الأدبي، جدة عدد 36، مايو 2007، ص27.

x – جواد الحسناوي كاظم، محمد محمود زنكته: الإنسان والبيئة، مطبعة البهاء، ط2، 2017، ص 27.

xi – جريج جيرارد: مرجع سابق ص10.

xii – Glotfelty: Introduction To The Ecocriticism Reader, By University Of Georgia Press , May 1, 1996, P106.

[xiii] – François Ramade, Dictionnaire encyclopédique de l'écologie et des sciences de l'environnement (Paris: Ediscience International, 1993), p. 882.

- **xiv – Arne Naess; Deep Ecology for the Twenty-First Century:p68.**

xv – بول روبنس، وآخران: البيئة والمجتمع مقدمة نقدية، ترجمة خالد مفتاح، منشورات المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2017، ص134.

[xvi] – Arne Naess; Deep Ecology for the Twenty-First Century:, p270

xvii – رشيد الحمد، ومحمد سعيد صباريني: البيئة ومشكلاتها، سلسلة عالم المعارف، ط1، الكويت، 1979، ص14، 24.

- **xviii – Lawrence Buell; The Environmental Imagination, By Belknap Press: An Imprint of Harvard University Press,2001,P6**

[xix] – د.محمد أبو الفضل بدران: النقد الأدبي البيئي (النظرية والتطبيق)، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ط1، 2010، ص66.

- **xx – ed. Karen J. Warren. Bloomington; Ecofeminism and the Eating of Animals," in Ecological Feminist Philosophies, By Indiana University Press,1996 ,P 129**

xxi – لورنس بيل، أورسولا هيس، كاثرين ثورنبر: الأدب والبيئة، ترجمة معتز سلامة، مجلة فصول، م.م، ص 344: 345.

xxii – جريج جيرارد: النقد البيئوي، ترجمة عزيز صبحي جابر، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، ط1، 2009، ص20.

[xxiii] – بهاء طاهر: شرق النخيل، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1985م، ص 50.

[xxiv] – نفسه ص 50

[xxv] – نفسه ص 35.

[xxvi] – نفسه ص 51، 52 .

[xxvii] – نفسه ص 68: 71.

[xxviii] – نفسه ص 46.

[xxix] – نفسه ص 22.

[xxx] – نفسه ص 40.

[xxxi] – نفسه ص 29: 30.

[xxxii] – نفسه ص 68: 71.

[xxxiii] – نفسه ص 29: 30.

[xxxiv] – نفسه ص 6: 7.

[xxxv] – نفسه ص 7

[xxxvi] – نفسه ص8.

[xxxvii] – نفسه ص9.

[xxxviii] – نفسه ص11.

[xxxix] – نفسه ص 6.

[xl] – شرق النخيل ص10.

[xli] – نفسه ص47.

[xlii] – نفسه ص39، 40.

[xliii] – نفسه ص43.

[xliv] – نفسه ص 29: 30.

[xlv] – نفسه ص 32.

[xlvi] – نفسه ص 35.

[xlvii] – نفسه ص 34.

[xlviii] – نفسه ص 34.

[xlix] – نفسه ص 35.

[l] – نفسه ص 12.

[li] – نفسه ص 14.

[lii] – نفسه ص16.

[liii] – نفسه ص 69.

[liv] – شرق النخيل ص 67، 68.

[lv] – نفسه ص 68.

[lvi] – نفسه ص21، 22.

[lvii] – نفسه ص22.

[lviii] – نفسه ص 33.

[lix] – نفسه ص 33.

[lx] – نفسه ص 33.

[lxi] – نفسه ص 33.

[lxii] – نفسه ص 53.

[lxiii] – نفسه ص 56.

[lxiv] – نفسه ص 56.

[lxv] – نفسه ص 57، 58.

[lxvi] – نفسه ص 67، 68.

[lxvii] – نفسه ص 68.

[lxviii] – نفسه ص 69.

[lxix] – نفسه ص38، 39.

[lxx] – Arne Naess; Deep Ecology for the Twenty-First Century: Readings on the Philosophy and Practice of the New Environmentalism, By Shambhala; 1st edition (January 24, 1995),p270

[lxxi] – شرق النخيل ص 55.

[lxxii] – نفسه ص 74.

[lxxiii] – نفسه ص 6.

[lxxiv] – نفسه ص 6.

[lxxv] – نفسه ص 29: 30.

[lxxvi] – نفسه ص 34.

[lxxvii] – نفسه ص 7.

[lxxviii] – نفسه ص43.

[lxxix] – نفسه ص10.

[lxxx] – نفسه ص6.

[lxxxi] – نفسه ص16.

[lxxxii] – نفسه ص30.

[lxxxiii] – نفسه ص15.

[lxxxiv] – نفسه ص12.

[lxxxv] – نفسه ص54.

[lxxxvi] – نفسه ص15.

[lxxxvii] – نفسه ص21.

[lxxxviii] – نفسه ص 29: 30.

[lxxxix] – نفسه ص41، 42.

[xc] – نفسه ص80، 81.

[xci] – نفسه ص81.

[xcii] – نفسه ص5، 6.

[xciii] – نفسه ص16.

[xciv] – نفسه ص 6.

[xcv] – نفسه ص 14.

[xcvi] – نفسه ص15.

[xcvii] – نفسه ص 76، 77.

[xcviii] – نفسه ص11.

[xcix] – نفسه ص29.

[c] – نفسه ص 69.

[ci] – نفسه ص12.

[cii] – نفسه ص 29: 30.

[ciii] – نفسه ص 76، 77.

[civ] – نفسه ص 29: 30.

[cv] – عبدالستار إبراهيم: الإنسان وعلم النفس، سلسلة عالم المعارف، الكويت، 1985م،145.

cvi – شرق النخيل ص 34.

[cvii] – نفسه ص80، 81.

[cviii] – نفسه ص 37.

[cix] – عبدالعزيز حمودة: البناء الدرامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998، ص 112.

[cx] – شرق النخيل: ص عنوان القصة.

[cxi] – نفسه ص5: 14.

[cxii] – نفسه ص 15: 17.

[cxiii] – نفسه ص 19: 25.

[cxiv] – نفسه ص29: 33، للمزيد انظر ص 34: 37، 40: 43، 45: 47، 50: 55، 58: 62، 66: 72، 81: 84، 89: 90.

[cxv] – نفسه ص 6: 7.

[cxvi] – نفسه ص8 مرتين،9، 11، 14.

[cxvii] – نفسه ص 6.

[cxviii] – نفسه ص 10، 32، 57، ومن الألفاظ المكررة لفظة (شجرة) في ص 29، 30، 39، 40، 47، ليعدد صور التفاعل البشري السيئ نحو البيئة الخضراء؛ ليعطي تقريرا أن العدو الأوحد للبيئة هو الإنسان، ومن الألفاظ المكررة لفظة (نخلة) ومشتقاتها عنوان القصة (شرق النخيل)، ص 6، 8 ، 11، 30، 67، 80، وذلك لبيان تعدد صور انتفاع الإنسان من البيئة الخضراء، وليجعل من البيئة الخضراء بطلا رئيسا في قصته، فالنخلة تتحدد الاتجاهات، وتتميز معالم الأمكنة، وتحتها يرقد الراوي، فتقف النخلة شاهدة على أحداث القصة، شاهدة على ما يجره الإنسان من مصائب لنفسه بإفساده للبيئة النافعة له.

[cxix] – نفسه ص16.

[cxx] – نفسه ص 69.

[cxxi] – نفسه ص15.

[cxxii] – نفسه ص25، وتكرر هذا المقطع في ص 74.

cxxiii – صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ع164، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1992م، ص270.

cxxiv – شرق النخيل: ص 6.

[cxxv] – نفسه ص6.

[cxxvi] – نفسه ص8.

[cxxvii] – نفسه ص9.

[cxxviii] – نفسه ص10.

[cxxix] – Heise: *Imagining extinction: the cultural meanings of endangered species*, University of Chicago Press, U.K, 2016,p5

[cxxx] – شرق النخيل ص 76، 77.

[cxxxi] – نفسه ص 34.

[cxxxii] – نفسه ص 35.

[cxxxiii] – نفسه ص 6.

[cxxxiv] – نفسه ص 6.

[cxxxv] – نفسه ص10.

[cxxxvi] – نفسه ص16.

[cxxxvii] – نفسه ص21، 22.

[cxxxviii] – نفسه ص 33.

[cxxxix] – نفسه ص 76، 77.

[cxl] – محمد الجميلي صالح: السرد الرسائلي قراءة في سيرة الجسد وصهيل المطر الجريح لمحمد صابر عبيد، دار تموز للطباعة والنشر، سوريا، 2016، ص 75.

[cxli] – شرق النخيل ص39، 40.

[cxlii] – نفسه ص47.

[cxliii] – نفسه ص 68.

[cxliv] – نفسه ص 34.

[cxlv] – نفسه ص 5.

[cxlvi] – نفسه ص 6.

[cxlvii] – نفسه ص 6.

[cxlviii] – نفسه ص 14.

[cxlix] – نفسه ص 19.

[cl] – نفسه ص 29.

[cli] – نفسه ص 30.

[clii] – نفسه.

[cliii] – نفسه ص 37.

[cliv] – نفسه ص 39.

[clv] – نفسه ص 40.

[clvi] – نفسه ص37

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا الكتب العربية

- بهاء طاهر: شرق النخيل، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1985م.
- د.حفناوي بعلي: مدخل إلى نظرية النقد المقارن المنطلقات المرجعيات المنهجيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2007م.
- جواد الحسناوي كاظم، محمد محمود زنكته: الإنسان والبيئة، مطبعة البهاء، ط2، 2017.
- عبدالستار إبراهيم: الإنسان وعلم النفس، سلسلة عالم المعارف، الكويت، 1985م.
- عبدالعزيز حمودة: البناء الدرامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998.
- فاطمة الشيدي: المعنى خارج النص، أثر السياقات في تحديد دلالات الخطاب، دار نينوى، دمشق، 2011م.
- محمد الجميلي صالح: السرد الرسائلي قراءة في سيرة الجسد وصهيل المطر الجريح لمحمد صابر عبيد، دار تموز للطباعة والنشر، سوريا، 2016.
- د.محمد أبو الفضل بدران: النقد الأدبي البيئي (النظرية والتطبيق)، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ط1، 2010.
- رشيد الحمد، ومحمد سعيد صباريني: البيئة ومشكلاتها، سلسلة عالم المعارف، ط1، الكويت، 1979.

ثانيا الكتب المترجمة

- بول روبنس، وآخران: البيئة والمجتمع مقدمة نقدية، ترجمة خالد مفتاح، منشورات المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2017م.
- جريج جيرارد: النقد البيئوي، ترجمة عزيز صبحي جابر، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، ط1، 2009م.

- جيليكا توشيتش: النقد البيئي دراسة بيئية في الأدب والبيئة، ترجمة سناء عبدالعزيز، مجلة فصول "النقد الأدبي وتداخل الاختصاصات"، المجلد 26/ 2 ، العدد 102، شتاء2018م.
- ديفيد كارتر: النظرية الدبية، ترجمة باسل المسالمة، دار التكوين للتأليف والنشر، سوريا، 2010.
- مايكل برانش: النقد الإيكلوجي، ترجمة معين رومية، نوافذ، النادي الأدبي، جدة عدد 36، مايو 2007.
- مجموعة من المؤلفين: النقد البيئي مقدمات مقاربات تطبيقات، ترجمة نجاح الجبيلي، دار شهريار، العراق، ط1، 2020.

ثالثا الكتب الأجنبية

-Arne Naess; Deep Ecology for the Twenty-First Century: Readings on the Philosophy and Practice of the New Environmentalism, By Shambhala; 1st edition (January 24, 1995).
-ed. Karen J. Warren. Bloomington; Ecofeminism and the Eating of Animals," in Ecological Feminist Philosophies, By Indiana University Press,1996.
-François Ramade: Dictionnaire encyclopédique de l'écologie et des sciences de l'environnement (Paris: Ediscience International, 1993).
-Glotfelty: Introduction To The Ecocriticism Reader, By University Of Georgia Press , May 1, 1996.
-Heise: Imagining extinction: the cultural meanings of endangered species, University of Chicago Press, U.K, 2016.
-Lawrence Buell; The Environmental Imagination, By Belknap Press: An Imprint of Harvard University Press,2001.
-Rachel Carson: Silent Spring, A Crest Reprint Fawcett Publications, Inc., Greenwich, Conn. Member Of American Book Publishers Council, Inc.